جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الاغتراب الاجتماعي
في السيرة الذاتية النسائية العربية

إعداد

د/ هياء بنت علي بن ثنيان الثنيان

دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها- جامعة الملك سعود

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الاغتراب الاجتماعي في السيرة الذاتية النسائية العربية.

هياء بنت علي بن ثنيان الثنيان
قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: halthnian@su.edu.sa

الملخص:

تقوم فكرة هذا البحث على دراسة: الاغتراب الاجتماعي في السيرة الذاتية النسائية العربية، حيث هيمن على خطاب المرأة السير ذاتي، وكان جزءًا كبيرا من الموضوعات التي شغلت هاجس المرأة في إبداعها السير ذاتي، وتهتم هذه الدراسة بالاغتراب الاجتماعي في السيرة الذاتية للمرأة العربية ومظاهره وأهم عوامله، فالاغتراب من الموضوعات الجوهرية التي اتجهت لها المرأة في كتابتها السير ذاتية؛ للتعبير عن وجودها الإنساني وكيانها الذاتي المستقل، وهو مادة سير ذاتية مهمة لاستجلاء أوضاع حياة المرأة العربية، وإبراز أهم القضايا أو الموضوعات التي شغلتها، أبرز العوامل التي تسببت في مضاعفة شعور الاغتراب الاجتماعي عند المرأة تتمثل في الآتي: عدم الشعور بالحرية ومصادرة الملكية الفكرية التي منحت المرأة فرصة التنفيس عن انفعالاتها، ورؤيتها الخاصة إزاء الحياة وخاصة الاجتماعية والسياسية، كان لأساليب التنشئة الاجتماعية والتربوية للمرأة الدور الكبير في تعميق شعور المرأة بالاغتراب الاجتماعي، فهذه الأساليب قائمة على عدم المساواة والفروق التفاضلية بين الذكر والأنثى التي تظهر مهمشة ومحتقرة في: (الولادة والتربية، والزواج والحياة الزوجية، والحياة العلمية والفرص المهنية).

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، الاغتراب الاجتماعي، السيرة الذاتية النسائية، خطاب المرأة، الملكية الفكرية.

Social alienation in Arab women's autobiography.

Hayaa bint Ali bin Thunayan Al-Thunayan
Department of Arabic Language and Literature, King Saud University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: halthnian@su.edu.sa

Abstract:
The idea of this research is based on studying: social Arabism in the autobiography of Arab women, as it is part of the discourse of women's autobiography, and it is a large part of the jobs that women occupy in creating autobiographie, This study is concerned with social alienation in the autobiographies of Arab women, its manifestations, and its most important factors. Alienation is one of the fundamental topics that women turn to in writing their autobiographies. To express her human existence and independent self-being, it is an important autobiographical material for clarifying the conditions of Arab women's lives, and highlighting the most important issues or topics that preoccupied her, The most prominent factors that increased the feeling of social alienation among women are the following:
Lack of feeling of freedom and confiscation of intellectual property, which gave women the opportunity to vent their emotions and their own vision regarding life, especially social and political, Women's socialization and educational methods played a major role in deepening women's feelings of social alienation. These methods are based on inequality and differential differences between males and females, who appear marginalized and despised in: (birth and upbringing, marriage and marital life, academic life and professional opportunities).

Keywords: Alienation - Social Alienation - Women's Autobiography, Women's Discourse, Intellectual Property.

الاغتراب الاجتماعي في السيرة الذاتية النسائية العربية

يرتكز **الاغتراب الاجتماعي (Social alienation) في السيرة الذاتية للمرأة العربية** على موقفها من المجتمع وموقف المجتمع منها، والقضايا المتعلقة بها وبحقوقها، وما يظهر في هذا المجتمع من عادات موروثة تقهر المرأة وتقمعها؛ لتتصاعد محاولات المرأة في مواجهة صراعات اجتماعية ومقاومتها بالرفض والتمرد، لتنتهي هذه المحاولات _ غالبًا_ بالانهزام والتسليم والانفصال عن المجتمع بالعزلة والانكفاء. ولعل هذا يقودنا إلى طرح التساؤلات الآتية: ما المقصود بـ**الاغتراب الاجتماعي؟** وما هي مظاهره؟ وما أبرز مرتكزاته؟

تشير الدراسات إلى أن **الاغتراب الاجتماعي** يتصل اتصالًا مباشرًا بالمجتمع ونظمه المختلفة، وموقف الفرد من مجتمعه وما يتعلق بوجوده وعلاقاته فيه، وقد وجدنا مفاهيم متنوعة تشير إلى **الاغتراب الاجتماعي**، ولم يأخذ هذا النوع معنى محددًا، بل اعتمد بشكل رئيس على شعور الفرد ونظرته إزاء المجتمع ونظمه، وعاداته وقيمه، والسلوك الإنساني الظاهر فيه. وقد حاولنا حصر المصطلحات والمفاهيم التي قام دارسو علم الاجتماع بتحديدها للاغتراب، وما يرتبط بعلاقة الفرد بالنظام الاجتماعي، والمظاهر التي وضعت للشخصية المغتربة اجتماعيًا.

دار استخدام مصطلح **الاغتراب** في الدراسات الاجتماعية الحديثة حول "الانفصال عن جانب أو آخر من جوانب الحياة الاجتماعية، أو الثقافية للمجتمع الذي يعيش فيه المرء"[1] ويرى شاخت(**Richard Schacht**) أن مصطلح **الاغتراب الاجتماعي** أو **الاغتراب عن المجتمع** هو أكثر استخدامات الاصطلاح

١ شاخت، ريتشارد، **الاغتراب**، تر: كامل يوسف حسين، (ط١) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م، ص٢٣٦

شيوعًا في كتابات دارسي الاجتماع، وهو أكثر الاستخدامات استمدادًا لأصوله، وتنوع مفاهيم **الاغتراب الاجتماعي** أكبر من تنوعها في أنواع **الاغتراب** الأخرى؛ وذلك يعود إلى حقيقة أن هناك العديد من الأشياء التي تشكل في مجموعها الحياة الثقافية والاجتماعية للمجتمع.[١]

وقد فُسر **الاغتراب الاجتماعي** بأنه: الاغتراب عن الثقافة الشعبية، والتحلل من معاييرها، فـ**الاغتراب** الاجتماعي هو: "التحلل من معايير الثقافة الجماهيرية، وعدم قبولها ورفضها، أو اتخاذ موقف اللامبالاة، أو الانفصال عنها"[٢] وعلى حد رأي شاخت أن قبول أو رفض الثقافة الجماهيرية هو وحدة موضع الاهتمام وليس القيم الأساسية أو الأعراف السلوكية للمجتمع.

وجاء **الاغتراب الاجتماعي** بمعنى التحلل من قيم المجتمع الأساسية، ورفضها والانفصال عنها، وقد اقتصر مفهوم **الاغتراب الاجتماعي** عند كينستون (**Keniston**) على: "الرفض الصريح والحر الذي يختاره الفرد لما ينظر إليه على أنه القيم أو الأعراف السائدة في المجتمع"[٣]

ومن ناحية أخرى أشار كينستون (**Keniston**)إلى أن مصطلح **الاغتراب الاجتماعي** يعني: الاغتراب عن أعراف السلوك الاجتماعي أي: (الأعراف الأخلاقية) حيث لاحظ أن ليس من الممكن أن يرفض الفرد الثقافة الشعبية، والقيم الأساسية المجتمعية، وإنما يرفض كذلك أعرافه السلوكية. وبالمثل فان لوري (**lowry**) الذي يرى أن **الاغتراب الاجتماعي** هو: اغتراب الفرد عن

١ ينظر، شاخت، **الاغتراب**، ص٢٣٦-٢٣٧

٢ ينظر، شاخت، **الاغتراب**، ص٢٣٧

٣ شاخت، **الاغتراب**، ص٢٣٩

الأخلاقيات والأعراف الثقافية السائدة في المجتمع، والتي تشكل مرشدًا لسلوكه الشخصي والجماعي.[١]

وقد ظهر في جانب الدراسات التي كُرِست لمناقشة مفهوم **الاغتراب الاجتماعي** مصطلح (فقدان الاتجاه) الذي يشير إلى: "فقدان الاتجاه من منظور الفرد" وقد أشار سيمان (**seeman**) إلى أنه يقصد بفقدان الاتجاه: حالة شخص ترتفع بالنسبة له نسبة توقع أن السلوكيات المنبوذة اجتماعيًا ستغدو مطلوبة لتحقيق أهداف بعينها. وقد عدّ سرول (**srole**) (التداعي) وهو حالة نفسية ترتبط بوضع فقدان الاتجاه في المجتمع نمطًا من أنماط **الاغتراب الاجتماعي**.[٢]

كما نجد أن **الاغتراب الاجتماعي** ارتبط بمفهوم العزلة الاجتماعية التي فُسرت بمعنى: "غياب العلاقات الشخصية الإيجابية كما يمكن أن تفسر بمعنى التحلل من الأعراف والقيم والثقافة السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الفرد"[٣] والعزلة الاجتماعية تأتي نقيضة للتفاعل الاجتماعي الذي يعد" ضرورة لتحقيق متطلبات وحاجات ملحة للإنسان كالحاجات المادية والحاجة إلى الأمن، والانتماء، والتقدير، والقبول الاجتماعي"[٤]

كما جاء **الاغتراب الاجتماعي** بمعنى افتقاد التضامن الذي طرحه هاجدا (Hajda) حيث يرى أن **الاغتراب** يرتبط بشعور افتقاد التضامن مع الآخرين، ومشاركتهم آراءهم واهتماماتهم، وهو بالنسبة له "الشعور بالاختلاف بصورة تبعث

---

١ ينظر، شاخت، **الاغتراب**، ص٢٤٣-٢٤٤

٢ ينظر، شاخت، **الاغتراب**، ص٢٤٧-٢٥٠

٣ شاخت، **الاغتراب**، ص٢١٦

٤ حسن، سمير إبراهيم، **تمهيد في علم الاجتماع**، ط١، عمّان: دار المسيرة، ٢٠١١م، ص١٨٣

علـى التـوتر فـي وجـود الآخـرين؛ بسـبب وجهـة نظـر المـرء واهتماماتـه أو ذوقـه الشخصي"[١]

وارتـبط مفهـوم **الاغتـراب الاجتمـاعي** أيضًـا بالشـعور بـالعجز فـي التـأثير الاجتمـاعي بمـا فيـه مـن سياسـة أو اقتصـاد، وهـذه النوعيـة مـن **الاغتـراب** "يمكـن النظر إليها باعتبارها توقع أو احتمال الفرد أن سلوكه لا يمكن أن يحسم الوصول إلـى النتـائج التـي ينشـدها"[٢] وحـدد عبـداللطيف خليفـة مفهـوم العجـز وجـوهره فـي "شعور الفرد باللا حول واللا قوة، وأنه لا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التـي يواجههـا، كمـا لا يمكنـه أن يـؤثر فـي مجـرى الأحـداث أو صـنع القـرارات المصيرية الحياتية، وجوهر العجز هو توقع الفرد بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسـة الضـبط، لأن الأشـياء حولـه تسـيطر عليهـا ظـروف خارجيـة أقـوى منـه ومن إرادته"[٣]

ودار استخدام مصطلح **الاغتـراب** فـي الدراسـات الاجتماعيـة الحديثـة حـول "الانفصال عن جانب أو آخر من جوانب الحياة الاجتماعية، أو الثقافية للمجتمع الـذي يعـيش فيـه المـرء"[٤] ويـرى عبـد اللطيـف خليفـة أن **الاغتـراب** فـي السـياق الاجتماعي يأتي بمعنـى" الانفصـال عن الآخرين، وهو معنـى اجتمـاعي لا يمكن أن يتم دون مشاعر نفسية كالخوف والقلق تسببه أو تصاحبه أو تنتج عنه"[٥] يؤكد خليفة في المفهوم الذي حدده **لـلاغتراب الاجتمـاعي** الارتباط التام، والتداخل بين

---

١ شاخت، **الاغتراب**، ص٢١٧

٢ شاخت، **الاغتراب**، ص٢٢٧

٣ ينظر، خليفة، عبد اللطيف محمد، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب** (د.ط)، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٢، ص٣٦

٤ شاخت، **الاغتراب**، ص٢٣٦

٥ خليفة، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**، ص٣٢

الاغتـراب الاجتمـاعي و**النفسـي**، فـ**الاغتـراب الاجتمـاعي** نتيجـة لمشـاعر نفسـية سلبية، وقد ينتج عن المشاعر النفسية السلبية حالة **الاغتراب الاجتماعي.**

وترى سعيدة الفارسي أن **الاغتراب الاجتماعي** "هو نوع من أنواع **الاغتراب التاريخي (الزماني)**[1] الذي يبحث فيه المغترب عن زمن آخر أفضل، والمغترب الاجتماعي هو مغترب ملتزم بقضايا مجتمعه ومهتم بتحسين أحوال الإنسان فيه"[2]

ويعد **الاغتـراب الاجتمـاعي** أحد الأسباب التـي تهدد النسيج الاجتمـاعي للمجتمعات، ويرتكز بشكل خاص في حالة تعرض الفرد إلى الفصل أو الخلع بطريقة ما عن أفراد مجتمعه وثقافته العامة، ولعل من أهم مظاهر **الاغتـراب الاجتماعي** التي تشهدها المجتمعات الرفض والنبذ، ومن بين الأسباب التي تدفع الفرد إلـى **الاغتـراب الاجتمـاعي:** العامـل الاقتصـادي، والسياسـي، والجغرافـي، والذاتي.[3]

ومن خلال المفاهيم السابقة التي حددت **للاغتراب الاجتماعي** نجد تداخلا بين معنى الاغتراب الاجتماعي، ومظاهره التي تتسم بها الشخصية المغتربة اجتماعيًا كالعجز، والعزلة الاجتماعية، الانفصال الاجتماعي، وبالرغم من هذا

١ عرفت الكاتبة الاغتراب التاريخي بقولها: الاغتراب التاريخي هو اغتراب زماني يستهدف الوجود الإنساني على الأرض وتغييره للأفضل ليتسامى، وهو في هذا على النقيض من الاغتراب الميتافيزيقي الذي يستهدف السماوي الغيبي والانتشاء في حضرته في تغيب شبه تام لما عداه. الفارسي، سعيدة خاطر، **الاغتراب في الشعر النسوي الخليجي**، (ط١)، مسقط: الجمعية العمانية للكتّاب والأدباء، ٢٠١٨م، ص٢٩

٢ الفارسي، **الاغتراب في الشعر النسوي الخليجي**، ص٨٥

٣ ينظر، بو طارن، محمد الهادي، **الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي** (د.ط) القاهرة: دار الكتاب الحديث، ٢٠١٠، ص٦٩

التداخل إلا أن هذه المظاهر هي نتائج لمسبب رئيس ومؤثر وهو **الاغتراب الاجتماعي.**

والملفت للانتباه أن **الاغتراب الاجتماعي** في السيرة الذاتية للمرأة العربية جاء متشابكًا مع عدد من أنواع **الاغتراب** الأخرى ولعل أهمها **الاغتراب النفسي، والثقافي** فالمجتمع لعب دورا رئيسًا في تحولات المرأة و انفعالاتها، فقد شكلت سلطة المجتمع بأعرافه وتقاليده عائقًا حدّ من حرية المرأة وتحررها، لتجد نفسها في دائرة من الصراعات الاجتماعية والنفسية، تقول ليلى العثمان: "**يلعب المجتمع دوره الكبير في فرض صور التسلط والقهر على المرأة، ومحاولة إلغاء شخصيتها، وتقييد حركتها وحريتها وصوتها وقلمها، وحتى خيالها ومشاعرها وأحلامها؛ تحقيقًا لأغراض السيطرة الاجتماعية عليها وحصر دورها في الإنجاب والإمتاع**"[١]

وقد عكس **الاغتراب الاجتماعي في السيرة الذاتية للمرأة العربية** إلى جانب الانفعالات النفسية للمرأة، التأملات الفكرية التي من خلالها جسّدت في خطابها السير ذاتي وعيها تجاه وضع المرأة في المجتمع، والحالات المأساوية التي تمر بها، وعلى حد رأي سعيدة الفارسي أن **الاغتراب** في هذه الحالة يكون إيجابيًا لأنه "علامة وعي وصحة ذهنية، يصاب بها الأشخاص الأكثر حساسية نفسيًا من الآخرين"[٢]

وأبرز ما يتمظهر في **الاغتراب الاجتماعي في السيرة الذاتية للمرأة العربية،** كثافة الصورة المأساوية للمرأة وأوضاعها الاجتماعية، التي أحالتنا إلى واقع المرأة العربية في عدد من المجتمعات، حيث تتجلى حالات العنف،

١ العثمان، ليلى، **أنفض عني الغبار**، (ط١)، القاهرة: دار العين، ٢٠١٧م، ص١٩٢

٢ الفارسي، **الاغتراب في الشعر النسوي الخليجي**، ص٢٦

والحرمان، واللامساواة، والاستحقار، الإهمال...إلخ موضوعات مهيمنة وهاجسًا فرضه واقع اجتماعي بما فيه من عادات مقيدة، وأعراف محبطة، حمّلت خطابات المرأة ازدواجية مليئة بالرفض والتمرد، والتسليم والعجز. ولعلنا بهذا نتساءل: ما أبرز صور **الاغتراب الاجتماعي في السيرة الذاتية للمرأة العربية؟** وكيف تعاملت المرأة مع **الاغتراب الاجتماعي؟** وما أبرز العوامل التي تسببت في شعور المرأة بـ**الاغتراب الاجتماعي؟** هذا ما سنسعى للإجابة عنه في وقفتنا الآتية.

أولًا: عدم الشعور بالحرية، ومصادرة الملكية الفكرية

يعد موضوع الحرية من الموضوعات التي حضرت في خطاب المرأة العربية السير ذاتي حضورًا لافتًا، فقد اتسعت لها نصوصها اتساعًا أكدت فيه حسها الواعي بحقيقة الحرية وماهيتها، فالحرية مطلب إنساني تحتاجه المرأة لتحقق لكيانها الاستقرار، ولذاتها الانسجام، فوجود المرأة في المجتمع وارتباطها به رهين بحريتها التي تمنحها فرصة الاختيار لعقيدتها، أو أفكارها، أو توجهاتها، أو سلوكياتها...إلخ، وعلى رأي سارتر **(Sartre)** "أن الوجود قبل الماهية، أي أن وجود الإنسان سابق على كل العقائد والقوانين والأخلاق والأعراف التي تحكم الإنسان يختار بحرية ما يراه مناسبًا لتحقيق ذاته أو وجوده"[١]. ومن هنا فإن عدم شعور المرأة بالحرية داخل مجتمعها نتيجة ثقافاته المسيطرة التي مارست سطوتها على احتياجات المرأة التي تحقق لها سبل العيش بسلام نفسي واجتماعي متوازن، وتكفل لها حقوقها في كافة الجوانب النفسية، والاجتماعية، والدينية، والمادية...إلخ تسببت في التضييق عليها لتنتهي بحالات الانفصال عن المجتمع

١ القاعود، حلمي محمد، **النقد الأدبي الحديث بداياته وتطوراته، (ط١)**، الرياض: دار النشر الدولي، ١٤٢٦هـ، ص٢١٣

ومحاولة الانعتاق منه، وعدم فهم هذه الاحتياجات لا سيما الحرية يخضع لطبيعة الإيديولوجيا الثقافية والاجتماعية التي تستحقر المرأة وتعمل على إخضاعها.

ويعد موضوع الحرية من أكثر الموضوعات التي شغلت المرأة في خطابها السير ذاتي، كونها تعاني من الخلفيات المجتمعية، والتنشئة المتشددة التي فُرِضت عليها فحاولت البحث عما يخفف عنها معاناتها، وقد ظهرت في السيرة الذاتية للمرأة العربية العديد من المضامين التي حمّلت فيها صور مصادرة الحرية والملكية الفكرية التي سلبها المجتمع منها، مما أوقعها في حالة **الاغتراب الاجتماعي**.

وكانت التربية التقليدية المشبعة بالتحريم المطلق لبعض الأمور الحياتية المباحة من أبرز المضامين، والأسباب التي شعرت المرأة بسببها بفقدان حريتها، وهذه التربية يلازمها الرقابة، وهي من الإفرازات الإيديولوجية التي دعمها المجتمع و أرساها بأفكاره الثقافية، وقد أشارت لها المرأة العربية في خطابها السير ذاتي على نحو ما نجده عند الكاتبة ليلى العثمان، تلك المرأة المبدعة التي حُرمت من ممارسة هواياتها بحرية بسبب المجتمع وعاداته في التربية تقول: "**إن رقابة المرأة على نفسها بحكم تربيتها التقليدية المشبعة بالمحرمات، وما يضاف إليها من رقابة أسرية واجتماعية وإعلامية ودينية، تضيق عليها فسحة الإبداع، وتحرمها من شرطه الجوهري والأساسي ألا وهو الحرية**"[١] تتجلى حالة **الاغتراب الاجتماعي** عند الكاتبة بسبب الرقابة الذاتية التي هي صورة من صور مضاعفات الرقابة الاجتماعية وسطوتها التي لحقت بالمرأة حتى حينما تكون مع ذاتها، وقد بنى المجتمع ثقافته في تربية المرأة وتنشئتها على البعد عن المحرمات التي خضعت للتطرف من جهة، والنظرة الدونية القاصرة من جهة أخرى، مما

١ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص١٩٤

حرمها من التمتع بحقوقها الإنسانية التي تمنحها فسحة العيش الآمن، والمستقر نفسيا. ولم يكن حرمان الكاتبة من الحرية بسبب رقابة الأسرة والمجتمع فحسب، بل كانت الرقابة الإعلامية التي سيطر عليها الجماعة المتطرفة المشوهة لتعاليم الدين ومبادئه الدور الرئيس في شعور مصادرة الحرية حينما حُرِمت من حرية الإبداع في الكتابة والإنتاج الأدبي، الذي تمت محاكمتها بسببه حينما حاولت نقل معاناة المرأة داخل المجتمع الكويتي، مما جعل دعاة الدين يوجهون لها تهم مناداتها بنشر الرذيلة، وفساد المرأة، فحينما حُرِمت من حقها في الإبداع، حتما حُرِمت من الحرية، فالحرية "هي عصب العملية الإبداعية وشريان الحياة فيها".[1]

إن معاناة الكاتبة داخل مجتمعها تضاعفت حينما تلاقت مع شخصية والدها القمعية السليطة التي تنتهج الأعراف والتقاليد الموروثة منهجًا تربويا في تربية المرأة والتعامل معها، فقد حرمها حقها في التعليم، والخروج من البيت، والحب، والإبداع في الفنون الأدبية، فلم تجد الحرية إلا في الكتابة، تقول: "**وجدت في الكتابة حريتي بعد أن أسرتني التقاليد بين الجدران. بدأت أعرف كيف أتنفس، أستنشق، أزفر وأنا حرة من كل قيد**"[2] تظهر حالة **الاغتراب الاجتماعي** حينما اختارت الكاتبة الكتابة المتنفس الوحيد لها من قيود المجتمع التي جاءت مع التقاليد القمعية المفروضة من والدها، فالحرمان النفسي، والعاطفي، ومصادرة حريتها جعلتها تبحث عما يخلصها من عبء الحياة الاجتماعية وثقلها. وطالت قيود والدها وحرمانه المؤلم لها حتى بعد الزواج الذي اختارته مهربًا من سلطته وقمعيته، تقول: " **كنت أحسب أنني يوم خرجت من بيت أبي نجوت من سلطته، لكني فوجئت به يمنع النشر في الصحافة، وقد حاول زوجي أن يقنعه، لكنه**

---

١ هني، عبد القادر، **الأدب بين الحرية المطلقة والالتزام بالقيم التربوية الإسلامية**، *مجلة الصراط*، كلية أصول الدين، ع٢، ٢٠٠٠، ص٢٣٣

٢ العثمان، ليلى، **المحاكمة** (د.ط) بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٩م، ص١٤

تمسك برأيه، فضاقت عليّ الدنيا وحقدت على أبي (وتمنيت لثالث مرة أن يموت)؛ لأعيش حرة بحياتي، وأحقق حلمي".[١] يمكن أن نلاحظ الطرق القمعية التي يستخدمها والدها المتشبع بعادات المجتمع وقيمه الحارمة، فإلى جانب حرمانها من حقوقها الاجتماعية، والنفسية، والعاطفية، حرمها من حقها الإبداعي الذي تكمن فيه أحلامها، فقد رفض محاولاتها للنشر في الصحافة قبل الزواج وبعده، وهذا التمسك بالرفض جاء نتيجة النظرة الدونية لصوت المرأة وقلمها الإبداعي، إلى جانب التفكير في ردة فعل المجتمع الذي سيقابل هذه الكتابة بالرفض والتحقير، فما كان أمام الكاتبة لتحقيق حلمها وحقها في النشر بحرية إلا تمني موت والدها، ليتأكد لنا أن حالة التأزم التي تعيشها الكاتبة أزمة فكرية اجتماعية. ولم تنته هذه الأزمة إلا بعد وفاة والدها، تقول: "**في نفس العام الذي توفي فيه أبي، انفتحت أمامي أبواب الحرية، ولوّحت لي ببيارقها الملونة حين حرص زوجي أن أبدأ النشر بالصحف**"[٢] إن الاضطهاد الذي عانت منه الكاتبة من مجتمعها، وقيود والدها التي كبّلت حريتها في كافة شؤون حياتها انتهت بها بعدم استشعارها لفقد والدها وموته، فقد أصبح موت والدها المعادل الموضوعي للحرية وأبوابها.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أهمية التنشئة الاجتماعية والتربوية التي عانت منها الكاتبة، ودورها في تعميق شعور **الاغتراب الاجتماعي** حيث تلعب التنشئة الاجتماعية "الدور المهم في تشكيل نمط الشخصية، فطبيعة الشخصية الإنسانية مرهونة إلى حد كبير بطبيعة التنشئة الاجتماعية ومستواها، من حيث

١ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٩٩

٢ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص١٠٤

هو القالب الثقافي الذي يهب الإنسان خصائص إنسانيته، فالاغتراب هو انعكاس لدرجة الشدة والتسلط في أساليب التنشئة الاجتماعية السائدة في مجتمع ما"[١]

وولدت المعاناة التي مرت بها الكاتبة منذ طفولتها حس الكتابة الإبداعية الذي يفيض بمشاهد الألم، والحرمان، والتعذيب، والتعب، فالمجتمع جعلها في حالة صراع داخلي دائم، بين الانفصال عنه، والانتصار للذات بالحرية التي ستحقق لها التوازن النفسي والعيش بسلام، فلم تجد إلا الكتابة التي من خلالها قالت مالم تتمكن من قوله، تقول: **لقد كنت بحاجة إلى وسيلة تمنحني الحق المشروع في الدفاع عن روحي وكينونتي، فكانت الكتابة هي فعل الانتقام الجميل، كانت ملاذي من الأوجاع والظلم ومخلّصي الذي استلني من الظلمات إلى النور. أصبحت فعل التحدي لبقائي نقية قوية، وجعلتني قادرة على التوازن والعيش بسلام مع نفسي والآخرين**".[٢] تتجلى في المقطع حالة التأزم النفسي والاجتماعي التي تصارعها الكاتبة بسبب حرمانها من حريتها وحقوقها التي تكفل لها العيش بتوازن، لتصبح الكتابة المعادل الموضوعي للحرية، والانعتاق من المجتمع وقيوده فـ"الكتابة نظرة للعالم وطريقة حضور فيه، واختيار المرأة للكتابة يعني رغبتها في أن تكون، وأن توجد، وتحضر بالفعل وبالقوة، وتحقق ما يمكن اعتباره تجاوزاً لوضعها الحالي؛ وهكذا تصبح الكتابة نوعاً من الخلاص، ويصبح الاستمرار فيها رغم ما يتضمنه من عذاب وضنى نوعاً من توسيع دائرة الخلاص"[٣]فالحرية التي عجزت عن الحصول عليها، وسلب حقها في القبول أو الرفض، وجملة معاناتها النفسية والاجتماعية، حولتها إلى بركان ثائر بالانتقام

١ خليفة، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**، ص١١٩

٢ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٢٠٢

٣ خلف، بشير، **تحدٍّ للمعوقات وتطلع إلى الحرية**، *ديوان العرب*، ٢٠١٢م، على الرابط: https://www.diwanalarab.com

والقهر، تقول: "**كانت الموهبة نعمة من نعم الله عليّ، وكان لابد من روافد تساهم في إشعال فتائلها، وكان الألم الذي عانيت منه طفلة وصبية فقد وُلدتْ لدي رغبة الاقتصاص من القهر، من الخوف الذي ربض بداخلي فكسر ألف قنديل أشعلته بزيت أحلامي، من الصمت الذي فرضوه على حنجرتي فصار كالورم الصلب، لا يسمح إلا بخروج كلمة نعم، بينما الحياة تعج بآلاف اللاءات**"[١] إن الظروف الاجتماعية _عامة_ والأسرية _خاصة_ التي عاشتها الكاتبة جعلتها تبحث عن وسيلة للانتقام ورد الاعتبار، فكانت الكتابة هي المنبر الذي تعتليه لتوصل رسالتها متحررة من قيود الأسرة القاهرة، والمجتمع القامع "ولأن الكتابة قبل أن تكون تركيبا لغويا فهي تعبير وبوح فإن المسألة تتعقد أكثر حين تأخذ الكتابة منحى البحث عن الخلاص من الوضع الاجتماعي الذي تعاني منه المرأة".[٢]

ولعل من أصعب المواقف التي استلبت فيها حرية الكاتبة حينما كبّلت السلطات الأمنية العراقية حريتها في التعبير، وإيصال معاناة الشعب الكويتي بعد الاعتداء العراقي، تقول: "**ما عذبني أكثر هو شعوري بأنني فقدت صوتي (ككاتبة كويتية) لا تستطيع أن تعبر عن فجيعة بلدها؛ فلا صحافة مُلكنا ولا وسائل الإعلام**"[٣] إن أقسى أساليب قمع الحرية واستلابها التي واجهتها الكاتبة حينما ارتبطت الحرية بالسياسة، وصادرت القوات العراقية حق التعبير، والكتابة الصحفية التي تنقل واقع الشعب الكويتي ومعاناته بعد الاعتداء، وشعور الكاتبة بالألم لمصادرة حريتها الإبداعية سياسيًا لا تبتعد عن مصادرتها اجتماعيًا،

١ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٢٠٢

٢ خلف، **تحدٍّ للمعوقات وتطلع إلى الحرية**، https://www.diwanalarab.com

٣ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص١٢٢

فكلاهما يتفقان في القمع، والكبت، والتهميش، والحرمان من أبسط الحقوق الإنسانية.

ومن أبرز العوامل التي حرمت الكاتبة من حريتها (الرقابة) وخاصة الإعلامية التي تشبعت بالفكر الاجتماعي الديني المتطرف، تقول: "**إلى جانب استشعاري للبعد القومي ولقضية المرأة، تأتي قضية الحرية كعمود ثالث من أعمدة تكويني الفكري وتطلعاتي. ويبدو أن الحرية بين ظهرانينا انحصرت مؤخرًا في زاوية قميئة، هي ما يطلق عليه الرقابة**"[1] تتطلع الكاتبة لتحول أفكارها الاجتماعية، والإنسانية المتعلقة بالمرأة وأوضاعها إلى ممارسات حقيقية واقعية، وتؤكد أن الحرية واحدة من الأسس التي يقوم عليها تكوين فكرها، وتطلعاتها المستقبلية، ولعل هذه التطلعات تحوم حول المرأة الكويتية وحقوقها التي سلبها منها المجتمع الذي لم تجد فيه المرأة إلا التهميش والاحتقار، حيث سخّرت الكاتبة نفسها وإبداعها الأدبي لتصوير معاناة المرأة الكويتية وما تلاقيه من الرجل السليط، والمجتمع المستبد، حيث تناولت قضايا عديدة تتعلق بالمرأة وحقوقها، إلا أن الرقابة الإعلامية الكويتية وقفت لها بالمرصاد وحرمتها من الإبداع بعد دعوى الفساد المقامة ضدها كونها تنادي إلى تحرر المرأة وتحريرها. فأصبحت تعاني من رقابة إعلامية، اجتماعية، دينية، أسرية. وظلت هذه الرقابة مستمرة في التضييق عليها، وملاحقتها حتى شعرت بأنها ستموت همًا منهم، لتتجلى حالة انطفاء الأمل، واشتعال البؤس، تقول: "**من راقب الناس مات همًا، هكذا يقال. لكنني أرى أن من يراقبون الإبداع بسبعة أرواح مديدة، ونحن المُراقبين من سنموت من الهمّ**"[2] إن حالة القهر الإعلامي الديني الاجتماعي الذي فُرض

١ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص١٩٤

٢ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص١٩٤

عليها انتهى بها إلى شعورها بالموت جراء همومها الإنسانية الاجتماعية، والرقابة الإعلامية التي قتلتها إبداعيا وإنسانيا، لتؤكد لنا أن حالة الصراع التي تعيشها مع الرقابة هي صراعات فكرية اجتماعية عرُفية، ليست دينية أو أخلاقية مبنية على مبادئ إسلامية صحيحة.

ومن جديد تعود لتؤكد أنها لا تجد الحرية إلا في الكتابة، التي أصبحت في مواقف كثيرة هي المعادل للحرية، والتحرر، والأمان من المتطرفين، تقول: "**في لحظة الكتابة أتعرى من كل خوفي، أهزأ من سيوف الجلادين المنتظرين جملة لا تعجبهم، وكلمة تجتاح عواطفهم المكبوتة فتثير شهواتهم، أنا أكتب...إذن أنا حرة.. أنا حرة**" [١]وفي موضع آخر تقول: "**لقد علمتني الكتابة أن أكون حرة؛ فهي الهواء ومن دونها أختنق، وحين أبدأ بها أشعر وكأنني كسرت كل الحواجز والقيود، فلا أضع حراسًا على عقلي؛ لأن أخطر ما يؤثر على الكتابة أن نفكر بالرقيب، أو أن نكون رقباء على أنفسنا، فالإبداع لا ينتعش في جو قمع ومطاردة**[٢]" ربطت الكاتبة حريتها بالكتابة التي تحتويها من انكسارها، ولحظات ضعفها، واستسلامها، واستطاعت بالكتابة أن تصور بسخرية رهبة الرقابة الإعلامية وتهيّبهم لحرفها الذي يتعارض مع قناعاتهم الفكرية، ومبادئهم المتطرفة، فهي في حالة صدام مع أسرة، ومجتمع، و إعلام من أجل تحقيق ذاتها الإنسانية، و وجودها الذي مزقته أنياب الأعراف الاجتماعية السائدة. وحينما وصلت لمرحلة اليأس من إحداث التغيير، وضعف إيقاع المواجهة لجأت إلى الأحلام، لتمارس فيها كل ما عجزت عن الوصول إليه، تقول: "**في الحلم لا أكون تلك السجينة المحرومة، أراني وقد اخترقت الجدران. خرجت إلى**

١ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٢٠٤

٢ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٢١٥

الشارع، أقبض على سندويشة (اللبنة والزعتر) أتمشى مع الصبايا. أسمع غزل شباب لبنان_ الحلوين_ أجلس فوق نتوء الصخر أتأمل جمال الطبيعة، ثم أطلق ساقي تمران ببيوت الضيعة ذات القرميد"[1] تُعلن الكاتبة حالة الصراع البائس مع المجتمع وأعرافه المقيدة للحرية، في الأحلام استطاعت التمرد على الأعراف الاجتماعية التي تُجِّرم بعض الممارسات المتعلقة بالعلاقات الإنسانية، ففضاء الأحلام "يقدم للأنا الحرية الكاملة في الفعل والحركة والمشاعر والإحساس بجمال الحياة، وما تنطوي عليه من براءة وسعادة غير مقيدة بتقاليد أو موانع تكبح تحرر الجسد وانطلاق الروح"[2]، مع هذا فاختيار الكاتبة للأحلام ولجوئها لها يعكس حالة الاستسلام، والانكسار، والاعياء التي وصلت لها بسبب مقاومتها للمجتمع وأعرافه، وما هذا الاستسلام إلا **اغتراب اجتماعي** في أقسى صوره، فقد انتهت هذه المقاومة والتمرد بالحكم عليها بالسجن، تقول: "**حكم علي القاضي بالسجن، خمسون دينارًا لوقف تنفيذ الحكم كانت كفيلة أن تمنحني الحريّة!!! ماذا عن سجن الحياة! كم يمكن أن ندفع لنكسر قضبانه**[3]؟" تتجلى حالة **الاغتراب الاجتماعي**، و**النفسي** الذي تعيشه الكاتبة فقد أعلنت عيشها سجينة مقيدة خلف قضبان الحياة الاجتماعية التي أخذت مداها في قمعها، وتهميشها، وحرمانها من التمتع بحريتها، وتكفل لها حقوقها الإنسانية بكافة جوانبها النفسية، والاجتماعية، والإبداعية، والعاطفية.

ونظرا لحالة الانفصال عن المجتمع وعدم تقبله التي تعيشها المرأة جعلتها تبحث عن الحياة الاجتماعية التي تجد فيها ذاتها الراحة النفسية، والحرية

---

١ العثمان، **المحاكمة**، ص١٢٤

٢ سامي، إشراق، **الآخر في رواية المحاكمة ليلى العثمان**، *مجلة العلوم الاجتماعية*، ع١٢، ج٢، ٢٠٢٠م، ص١٢١

٣ العثمان، **المحاكمة**، ص٢٨٤

الشخصية، التي تمنح المرأة حقوقها الإنسانية لتعيش حياة كريمة، وهذا الذي وجدته هدى الغصن حينما زارت المدن الأوروبية، تقول: "**الشعور الغامر الذي كانت تغمرني به، وكانت تدغدغني بالإمكانات والاحتمالات اللامتناهية التي تتيح لأي امرأة، إذا شاءت، أن تعيش حياة كريمة، مستقلة وحرة. فصرت أردد لنفسي (أريد هذه الحياة)**" [١] تظهر حالة الصراع الداخلي الذي تعيشه الكاتبة جراء الأسباب الخارجية الاجتماعية التي تضاعفت حينما وجدت نقيضها في مجتمعات أخرى، فحالة الكبت، والانغلاق التي مارسها المجتمع السعودي على المرأة آنذاك جعلتها تلجأ للبحث عما يمنحها حرية الحياة والتحرر من القيود الاجتماعية التي لم تعثر فيها المرأة على ذاتها، ولم تحقق لكيانها الاستحقاق الإنساني التام.

ثانيًا: غياب المساواة والعدالة الاجتماعية

كفل الإسلام للمرأة حقوقها التي تمنحها حقها الإنساني في الحياة، إلا أن المرأة العربية في فترات زمنية ماضية عانت من المجتمعات الذكورية التي تقوم على مركزية الذكر وهامشية الأنثى فـ"موقف الدين بوصفه وحيًا منزلًا وبوصفه دين الفطرة يعطي المرأة حقها الطبيعي، ولكن الثقافة بوصفها صناعة بشرية ذكورية تبخس المرأة حقها ذاك وتحيلها إلى كائن ثقافي مستلب"[٢]

هذه الذكورية المقيتة أوقعت المجتمع في معضلة عدم المساواة بين الذكر والأنثى في الكثير من جوانب الحياة، فقد عانت المرأة من أساليب تنشئة اجتماعية عديدة تهمشها وتحتقرها مما أوقعها في حالة **الاغتراب الاجتماعي** الذي تجلى في سيرتها الذاتية بعددٍ من الصور منها: **(الولادة والتربية، والزواج**

١ الغصن، هدى، **كيان مطلق** (ط١)، د.م: الدار العربية للعلوم، ٢٠٢٢م، ص٧٧

٢ الغذامي، عبد الله، **المرأة واللغة**، (ط٤)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨م، ص١٦

والحياة الزوجية، والحياة العلمية والفرص المهنية). وسنقف لدراستها ومحاولة رصد أبرز ظواهرها في الآتي.

١- الولادة والتربية

أدركت المرأة مدى تأثير الطفولة في تكوين شخصيتها، وتحديد سلوكياتها، ولجملة أحداث الطفولة منذ الولادة حتى المراهقة بالغ الأثر في التحولات النفسية، والفكرية، والدينية، والاجتماعية التي تؤدي بالمرأة إلى محاولة تحقيق ذاتها، وبناء شخصيتها، واختيار قراراتها وتوجيهها التوجه الذي يحقق لها الرضا في كافة جوانب حياتها.

وتمثل حالة استرجاع المرأة لأحداث ولادتها وظروف طفولتها وتربيتها من الموضوعات التي تتكأ عليها للتأكيد على غياب العدل، وعدم المساواة بين الذكر والأنثى في المجتمع، مستثمرة هذه الأحداث في تشكيل تمظهرات **للاغتراب الاجتماعي والنفسي** الذي تعانيه، وتتفق هذه الأحداث في إظهار سلوكيات اجتماعية لا دينية ولا إنسانية.

وقد صوّرت المرأة العربية في سيرتها الذاتية استمرار العادات الجاهلية الاجتماعية في النظرة للأنثى وولادتها التي وصفها القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ سورة النحل:٥٨ – ٥٩، وحرصت المرأة على نقل هذه الأحداث كما سمعتها ممن هم عاشوا تلك اللحظات، لتظهر أوجه أخرى لظاهرة اجتماعية موروثة امتدت منذ العصور الجاهلية واختفت وهي: (وأد البنات) تلك الظاهرة التي حرمها الإسلام و قال عنها: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ سورة التكوير: ٨. ومن هذه الأوجه التي عانتها المرأة وصارعتها وهي برأيها لا تختلف عن وأد البنات بوقعها النفسي والعاطفي عليها ظاهرة (كراهية إنجاب البنات) وعدم الفرح بالمولود إذا

كان أنثى، وهي ظاهرة انتشرت _قديمًا_ في المجتمعات العربية انتشارًا واسعًا، "حيث لا يرحب أفراد العائلة بمولدها، ويتمنون لو أن المولود كان ذكرًا، وتظل هذه النظرة الدونية التفاضلية بين الذكر والأنثى مستمرة، تحاصر الأنثى في مختلف مراحل حياتها، فتعطى للذكور الصغار من الحقوق، ما لا يعطى للإناث الكبيرات"[١] و ظلت هذه الأحداث المؤلمة قابعة في ذاكرة المرأة وذكرياتها وتسترجعها مؤكدة على عدم نسيانها أو تجاوزها، كونها تركت أثارًا عميقة في نفسها لتتجرع الحزن، وتصارع الآلام وحدها.

ومن هذا ما نجده عند نوال السعداوي التي ركزت في سرد سيرتها الذاتية على ذكورية المجتمع وأعرافه حينما استعادت أحداث ولادتها، تقول: "**حين وُلدت بنتًا وليس ولدًا مثل أخي، حين دب الصمت في الكون ولم تنطلق الزغاريد من أفواه النسوة، أيكون مجيئي إلى الحياة سببًا لحزن أهلي؟**"[٢] إن المعاناة النفسية التي تجّلت عند الكاتبة ناتجة عن عادة اجتماعية كانت سائدة في المجتمع المصري الذكوري، وهي تفضيل إنجاب الذكر والفرحة به، وكراهية إنجاب الأنثى وعدم الفرح بها، فتظهر حالة الحزن والبؤس التي سادت بعد ولادتها، حيث الصمت، وعدم انطلاق الزغاريد التي تعتبر وسيلة للتعبير عن مشاعر الفرح والسعادة، هذه العادة تسببت في شعور الكاتبة بـ**الاغتراب الاجتماعي** وشعورها بالأزمة النفسية منذ ولادتها وطفولتها المبكرة، وتكمل الكاتبة تعميق صورة شعورها المؤلم الذي عانته في وقت مبكر بقولها: "**لم تنطلق الزغرودة من فم أم محمد الداية، ولم تفتح الأم الوالدة جفونها لترى ماذا ولدت، وكنت بالمصادفة (أنا) بالمصادفة ذلك الشيء المولود، قلَّبته أم محمد الداية بين يديها، مُمَصِمصة**

١ وهابي، عبد الرحيم، **السرد النسوي العربي من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية**، ط١، عمّان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٦م، ص١٠٣-١٠٤

٢ السعداوي، **أوراقي حياتي**، ج٢، (د.ط)، د.م: مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٧م، ص٦٦

شفتيها في حسرة، ثم ألقت بد داخل طشت الماء ليغرق"[1] اجتهدت الكاتبة في استرجاع مشاهد أحداث ولادتها في مجتمع ذكوري قامع، وحرصت على وصف لحظاتها متخذة منها صورة لأهم البواعث الاجتماعية والنفسية القاهرة التي تسببت في اختلال توازنها النفسي والاجتماعي، وتؤكد الكاتبة في موضع آخر أن المرأة عاشت شعور (الوأد) ولكنه بصورة أخرى أخف منها، فالحزن وما يكظمه أفراد المجتمع الذكوري من مشاعر اتجاه إنجاب الأنثى جعلها تشعر بأنها مؤودة روحيًا، تقول:"**الزمان الذي وُلدت فيه كان أفضل، لم يكن يحدث شيء حين تولد الأنثى؛ فقد يصيب الناس الحزن، لكن الحزن أخفُّ من الوأد، فقد ينطوي الحزن على رغبة مخبوءة في الوأد، إلا أنه يظل حزنًا لا غير، يظل شيئا طافحًا فوق الوجوه، لونًا قاتمًا يخفي الشيء الكظيم**"[2] المقاطع السابقة صوّرت فيها الكاتبة معاناتها مع **الاغتراب الاجتماعي** الذي يظهر في سلوكيات متبعة وفقًا لأنظمة اجتماعية ذكورية تجعل من ولادة الذكر سببا للفرح والفخر، أما الأنثى فالحزن والبؤس مما جعلها في حالة صراعات اجتماعية نفسية دائمة لا تملك أمامها إلا العجز والاستسلام.

وعلى نحو ما عانت السعداوي، نجد فدوى طوقان هي الأخرى عانت التنكر الاجتماعي والأسري بعد ولادتها، تقول: "**خرجت من ظلمات المجهول إلى عالم غير مستعد لتقبلي، أمي حاولت التخلص مني في الشهور الأولى من حملها بي، حاولت وكررت المحاولة، ولكنها فشلت**"[3] فكرة عدم التقبل في ذاتها صورة من صور **الاغتراب الاجتماعي** الذي جعل المرأة تشعر بعدم جدوى

---

١ السعداوي، نوال، **أوراقي حياتي**، ج١، (د.ط)، د.م: مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٧م، ص١٦

٢ السعداوي، **أوراقي حياتي**، ج١، ص١٥

٣ طوقان، فدوى، **رحلة جبلية رحلة صعبة** (ط٢)، عمّان: دار الشروق، د.ت، ص١٢

وجودها وأهميتها في مجتمع ذكوري يؤمن بالذكر ويحتقر الأنثى، وحدة معاناة الكاتبة لا تتجلى في عدم تقبلها فحسب، بل في شعورها بأنها السبب في خيبة أمل والدها وتوقعاته الذي كان يتأمل بأن يكون المولود ذكرًا، تقول: "**كان يطمع بصبي خامس، لكني خيبت أمله وتوقعه**"[١] حاولت الكاتبة تجسيد ملامح حالات **الاغتراب** التي تعيشها نفسيا واجتماعيا نتيجة وجودها في مجتمع ذكوري جائر لا يعدل بين الذكر والأنثى.

وفي هذا السياق عكس خطاب بلقيس شرارة السير ذاتي التمييز النوعي الفارق بين ولادة الذكر والأنثى في مجتمعها، ذلك التمييز العنصري الذي شكل مصيرًا محتومًا لا مفر منه، تقول عن أحداث ولادتها: "**لم يحدث أي اعتراض من قبل نساء الحي لأنني بنت، وبنت ثانية، بل التزمت نساء الحي الصمت دون تقريع والدتي، لأنها انجبت بنتا ثانية**"[٢] أول تجليات **الاغتراب الاجتماعي** (الصمت) الذي بطبيعة الحال يعكس جملة من المشاعر السلبية منها: الرفض، وعدم القبول، والشعور باليأس والإحباط، وبقت هذه النظرة التفاضلية المفرقة بين ولادة الأنثى والذكر مستمرة في خطاب الكاتبة السير ذاتي مصورة مرارة شعور تفرقة أسرتها ومجتمعها في الاهتمام بالمولود الذكر و إهمال الأنثى، تقول: "**أنجبت والدتي صبيًا وهي في لبنان بعد ثلاثة بنات، فكان الاهتمام به كبيرًا من قبل جميع أفراد عائلة والدتي، إذ ثبت مركزها، مما أثار هذا الاهتمام الغيرة فينا، بالرغم من صغر سننا**"[٣] كشفت لنا الكاتبة قيمة المرأة (الزوجة) التي تتحدد في المجتمع –عامة– و عند الزوج –خاصة– بنوع المولود الذي تنجبه، حيث يثبت مركزها اجتماعيا، وتحظى بالتقدير بولادتها للمولود الذكر "فالمرأة التي تلد

١ طوقان، **رحلة جبلية رحلة صعبة**، ص١٣

٢ شرارة، بلقيس، **هكذا مرت الأيام**، (د.ط) د.م: دار المدى،٢٠١٥، ص٢٢

٣ شرارة، **هكذا مرت الأيام**، ص٢٥

الإناث لا تحظى بأي اعتبار في المجتمعات العربية، إنها دائمًا بحاجة إلى ولد ذكر يحفظ لها كرامتها في مجتمع الذكور"[١]

وكما هي معاناة الكاتبات السابقات ظهرت الكاتبة ليلى العثمان متجرعة معاناة المجتمع الذكوري وعدم المساواة بين الذكر والأنثى في أحداث الولادة، حيث عانت من الكره وعدم التقبل منذ لحظات حياتها الأولى، تقول: "**ولدت طفلة مكروهة بلا ذنب جنيته، فقد حلمت أمي أن أكون صبيًّا بعد إناث ثلاثة هن شقيقاتي**" [٢] تتجلى حالة **الاغتراب الاجتماعي** و**النفسي** الذي صارعته الكاتبة منذ ولادتها، حيث تظهر مشاعر الكره والنبذ لأنها أنثى، فقد حلمت والدتها بأن تكون ذكرًا لأن والدها هددها–أي والدتها– بالطلاق والانفصال عنها إذا انجبت أنثى، وحينما ولدتها قررت التخلص منها برميها من نافذة المستشفى، إلا أن يد الممرضة أنقذتها وأعادتها للحياة، تقول: "**غضبت وتصورت أنها لو وأدتني حيّة في قلب البحر، سوف يشفع لها هذا عند أبي ويبقي عليها**"[٣] شعور الغضب وعدم الرضا الذي شعرت به والدتها جعلها تتجرع معاناة نفسية واجتماعية منذ اللحظات الأولى في حياتها، حيث استمرت هذه المعاناة وظلت تسترجعها معلنة سطوتها عليها. ولم تكن معاناة الكاتبة من كونها ولِدت أنثى فحسب، بل عانت من الفروق المتمايزة في التربية التي حرمتها من حنان الأب وعطفه، تقول: "**لم يكن أبي يعلم عن عذابنا، كان يأتي كل مساء، لكننا لم نكن نراه، فقد زرعوا في رؤوسنا أن ظهور البنات أمام أبيهن عيب كبير، فكنا ما إن نسمع صوته، نتراكض إلى غرفتنا**"[٤] مرت الكاتبة بحالات من العنف الجسدي والنفسي الذي

١ وهابي، **السرد النسوي العربي من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية**، ص١٠٦

٢ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٢٤

٣ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٢٥

٤ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٧٣

تلقته من زوجة والدها، وقاست أنواع العذاب والحرمان، إلا أن والدها لم يعلم بهذا لأن التربية الذي فُرِضت عليها كانت تمنعها من مقابلته والحديث معه، لأن هذا في عُرف ثقافة التنشئة الاجتماعية والتربوية التي تلقتها عيبًا، ولعلها لم تكن أسلوبًا تربويًا أكثر من كونها حيلة من زوجته حتى لا يعلم والدهن بمعاناتهن.

كما عانت المرأة في المجتمعات الذكورية من الفروق بين تربية الذكر والأنثى، حيث لا قيود ولا قمع ولا عيب للذكر، على عكس الأنثى التي عانت القمع، والمنع، والإخضاع للرجل، تصف هذا هدى الغصن بقولها: "**لقد تربيت في ثقافة محافظة في عصرٍ مقموع، حين كانت المرأة تُعدّ مجرّد مُلكٍ خاص للرجل، وعانيت التحرش البذيء في سن كنت فيها لتّوي أفتح عيني على عالمٍ ظننته مؤتمنا على حمايتي**"[١] تظهر المرأة في المجتمع السعودي كما وصفته الكاتبة في الأنظمة الاجتماعية المنشرة لتربية الأنثى، شخصية مهمشة، مقموعة، مذعنة، مذعورة، فالكاتبة بجانب معاناتها من النظام الاجتماعي الذكوري القاهر، عانت من التحرش الجنسي منذ طفولتها عدة مرات، وظلت صامتة متجرعة نوبات الخوف والهلع وحدها، لأن مجتمعها الذكوري يمنح الذكر الحصانة من العار والعيب والوقوع في المحظورات، ويخشى أن تقع فيها الأنثى، وذكورية المجتمع هذه أوقعتها في شباك الخوف والهلع من إخبار أهلها بتعرضها للتحرش مِن قِبل مَن منحوهم الثقة لحمايتها؛ لأن مجتمعها حتما سيقابل اعترافها بالنفي والنكران، بل الرفض أو الحرمان الذي يفاقم من معاناتها النفسية والاجتماعية، ويزيد من مأساتها مأساة تقف أمامها عاجزة ضعيفة وهي بذلك تضعنا "أمام

١ الغصن، **كيان مطلق**، ص١٧

صورة المرأة العاجزة المهمشة في حالة استلاب كاملة نفسيًا وجسديًا، لا تستطيع المقاومة ولا حماية نفسها"[1].

ولم تدخر المرأة في سيرتها الذاتية وسعًا للتأكيد على أن مشكلاتها لم تكن اجتماعية إيديولوجية فقط، بل إنسانية موقفًا وفكرًا، وشعورًا، فقد وقفت الموقف المتوازن تجاه اللامساواة بين الذكر والأنثى. ففاطمة المحسن خلق التمايز في معاملة والدها بينها وبين أخوتها حالة من الإحساس بالصراعات النفسية والفكرية التي شكلت شخصيتها، وأدركت في عمرٍ متأخر الشعور بالانفصال العائلي وانعدام التلاحم الأسري فقد كانت تعيش أسرتها حياة شبهتها بالجزر المنفصلة، والذي ساعد على خلق هذا البعد مزاج والدها المتذمر العابس، وعدم مساواته في التعامل بين الأبناء، تقول: "**أخطر ما في هذا التمرد هو تلك الكراهية الدفينة التي كنت أستشعرها إزاء والدي، والدي الذي فضّلني في طفولتي على أخوتي، الأخ الذي يكبرني والأخ الذي يصغرني. كان يهملهما، ويصحبني إلى دائرته، وإلى مجالس الموظفين**"[2] الكاتبة هنا تحيلنا إلى رفض المرأة للتفرقة والتمايز بين الأبناء وأثره على شخصيتها، فبرغم ما لاقته من عناية واهتمام إلا أنها رفضت هذه العناية التي يقابلها إهمال لأخوتها مما خلق فجوة نفسية مؤلمة في ذات الكاتبة اتجاه والدها، وخطاب الكاتبة يكشف لنا معاناتها مع **الاغتراب الاجتماعي** من جهة، و**النفسي، والأسري** من جهة أخرى، فالصراع قائم بين قيم إنسانية هي: صراع بسبب فقدان الروابط الأسرية الحميمية التي تكفل لها مشاعر التكاتف والانتماء الأسري، وصراع بسبب قيم العدالة والمساواة بين الأبناء التي تقرب المسافات العاطفية والوجدانية بين الأب وأبنائه.

---

١ مشقوق، هنية، **الاغتراب في الرواية النسوية الجزائرية**، (رسالة دكتوراه)، جامعة محمد خيضر، ٢٠١٦ /٢٠١٧م.ص٣١٥

٢ المحسن، فاطمة، **الرحلة الناقصة**، (د.ط) د.م، د.د، د.ت، ص١٦٩

٢- الزواج والحياة الزوجية

تنطلق "إشكالية اغتراب المرأة وفجيعة تضحياتها من رؤية رئيسة، تكمن في كونها أنثى بالدرجة الأولى"[١] فلم تشعر المرأة بالعجز والإحباط إزاء اللامساواة بين الذكر والأنثى في الولادة والتربية فحسب، بل نجد في معاناتها مع الزواج والحياة الزوجية صورًا **للاغتراب الاجتماعي** الذي تظهر الحياة الزوجية بسببه مؤسسة محاصِرة للمرأة تقف وظيفتها على الإنجاب والتربية وخدمة الزوج، لتنتهي غالبًا هذه الحياة بعدم التفاعل العاطفي، ورفض المرأة للاستمرار في الحياة الزوجية؛ نتيجة عادات اجتماعية صارعتها في مجتمع ذكوري يسلب حقوقها الإنسانية، فالنظام الاجتماعي العربي "أعطى للرجل السلطة أضخم مما أعطاه الإسلام، فالمرأة عند بعض الرجال مجرد إنسان يرعاه ويوفر له البيئة المناسبة لحياته...إلخ"[٢] لتستمر مشاهد تحقير المرأة وتهميشها وهي حالة متكررة في نصوصها السير ذاتية، وما أكثر المشاهد التي صورتها المرأة العربية لوضعها في المجتمعات فالتبعية، وانمحاء الذات، والمحاصرة، والعنف، والتهميش مظاهر تكررت كثيرًا في خطاب المرأة السير ذاتي.

وأصبحت الحرية والشعور بإرادة المرأة واختيارها لكافة شؤون حياتها، وقراراتها الحياتية المصيرية، جزءا لا يتجزأ من وعيها لحقيقة الحياة وما هيتها في جوانبها المختلفة، إلا أن المجتمعات الذكورية لا تؤمن بحرية المرأة، ولا تمنحها حقها الكامل في كافة شؤون حياتها، ومن ذلك (الزواج) الذي أصبح بفعل العادات الاجتماعية القاسية مشكلة وقفت المرأة أمامها متخذة موقفًا معاديًا، لأن الزواج في بعض المجتمعات العربية يحكمه الرجل محملًا بعادات اجتماعية

١ المناصرة، حسين، **مقاربات في السرد**، (ط١) إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢، ص٧٢

٢ الحكمي، عائشة يحيى، **السيرة الذاتية عند أدباء المملكة العربية السعودية في مرحلة الطفرة (١٣٩٠-١٤١٨هـ)**، (ط١)، عمّان: دار كنوز، ٢٠١٥م، ص٩٥

وثقافية موروثة تقوم على مركزيته في ظل هامشية المرأة، ومن هذا ما صورته هدى الغصن في خطابها السير ذاتي، حيث أصبح الزواج والحياة الزوجية من العوامل التي شعرت فيها بمصادرة حريتها وتقييدها، تقول: "**أذكر أنني بدأت أحس بالضجر عندما شعرت أن حياتي الجديدة لم تعد مغامرة، بل مؤامرة لشل حركتي وكبح استقلالي وإرادتي في تحديد مسيري، فبدأت أنزوي بنفسي شيئا فشيئًا، وأحجمت عن مشاركة الآخرين تساليهم**"[1] توافرت الأسباب الاجتماعية والنفسية الذاتية التي فاقمت شعور الكاتبة بمصادرة حريتها بعد الزواج وارتباطها برجل شعرت بأن الحياة معه كبح لحريتها، واستقلالها، وإرادتها في تحديد مسيرة حياتها، وهذا الشعور الذي انتابها هو ليس واقع حياتها الزوجية الحقيقي، ولكنها الانطباعات السابقة، والتصورات التي انطبعت في ذهن الكاتبة من تجارب الزواج لنساء أخريات ومعاناتهن النفسية والاجتماعية قبل الزواج وبعده، حيث يظهر الرجل في المجتمع السعودي مستبدًا مكبلًا للمرأة وحريتها، فلا تمتلك أمام شخصيته المستبدة، القامعة إلا الاستسلام، وتظهر ذات الكاتبة المتشظية بائسة من الحياة الاجتماعية وواقعها المقيد، لتصل إلى مرحلة العجز عن المواصلة، والانفصال عن المجتمع، لتتخذ العزلة وسيلة للخلاص من أعرافه.

انتهت تجربة الحياة الزوجية للكاتبة بالانفصال؛ نظرا لهيمنة الشعور السلبي عليها بتقييد حريتها ومصادرتها، فروحها التي حلّقت في فضاءات الحرية لم تتقبل تكبيلها، تقول: "**كانت كل من هذه التجارب تؤكد لي ما تعلمته من المرّة الأولى: وهي أن روحي الحرة لا تحتمل القيود، سواء أكانت ذهبية أم مخملية! وهذه هي الروح التي ولدت بها وهيمنت على حياتي**[2]" ولعل المسبب الرئيس

١ الغصن، **كيان مطلق**، ص٥٦

٢ الغصن، **كيان مطلق**، ص٧٥

لهذا الشعور الخلفية المجتمعية، والأعراف السائدة القائمة على سلطة الرجل وحريته، مقابل قمع المرأة وتهميشها "فتركيبة مجمعاتنا تقوم على وجود كيان ذكوري بطريركي مستبدٍ، في مقابل وجود كيان أنثوي مهمّش مضطهد، وبخاصة في المجتمعات الريفية، وأيضًا في مجتمعات الطبقات الدنيا في المدينة، التي يهيمن عليها مثلث الفقر والجهل والمرض"[١] تقول: "**لم تكن تهمهم رغبتي بالاستقلال، ولا كانوا على استعداد للإقرار بهويتي الفردية. نعم! كانوا يكنّون لي الاحترام والتقدير والمحبة، لكنهم كانوا يأملون بزوجة تمثل دور المرأة المذعنة في بيئتنا، وأن تتقهقر جميع طموحاتها واهتماماتها ومنجزاتها إلى المقعد الخلفي، وأن تركن إلى الأبد على الرف**"[٢] تبني الكاتبة في المقطع السابق برؤيها الخاصة عالم المرأة السعودية المتزوجة، وما يمثله هذا العالم من حصار لها وعدم الاستقلال، حيث يظهر ارتباط المرأة بالرجل ارتباطا قاتلًا لطموحاتها، واهتمامها، ومنجزاتها، لتؤكد الكاتبة من خلال خطابها علاقتها بمحيطها الاجتماعي بشكله العام، والزوجي الأسري بشكل خاص، حيث تتجلى هذه العلاقة المضطربة والقائمة على عدم التصالح والقبول في ظل مصادرة الحرية والحرمان منها لأنها تمنح للذكر دون الأنثى. ونتيجة لهذا انتهت حياة الكاتبة بالانفصال الذي جاء بعده معاناة نظرة المجتمع للمرأة المطلقة، تقول: "**دُفِع بي إلى زواجٍ مبكّر في سن الخامسة عشر، ثم كان عليّ أن أتحمّل عواقب كوني مطلقة، في مجتمع كان ينظر إلى المرأة المطلقة نظرةً دونيّة، ويعدها منبوذة لا مكانة لها**"[٣] إن الواقع الذكوري الذي تعيشه الكاتبة جعلها تعيش في اضطراب نفسي حاد بين حياة زوجية تحكمها القيم الاجتماعية المستبدة، أو الانفصال

١ المناصرة، **مقاربات في السرد**، ص٩٢

٢ الغصن، **كيان مطلق**، ص٢٠٩

٣ الغصن، **كيان مطلق**، ص١٧

وتحمل معاناة نبذ المجتمع لها ونظرته الدونية، وما هذه الصراعات إلا حالة من مظاهر **الاغتراب الاجتماعي.**

أما ليلى العثمان فكانت تعاسة شقيقاتها في الزواج من أبناء العمومة سببًا من أسباب رفضها للارتباط بابن عمها الذي اختاره والدها شريكا لحياتها، تقول: "**كان أبي قد نذرني لابن عمي كباقي أخواتي، لكنني شهدت بأم عيني مدى تعاستهن...لذلك رفضت الاقتران بابن العم وقلت لأبي لن تجبرني وسأظل عانسًا أفضل من مجهول غبي ينتظرني**"[1] إن العادات الاجتماعية المعروفة في المجتمع الكويتي في تلك الفترة من أبرز الأسباب التي تقف خلف رفض الكاتبة للارتباط بابن عمها بل أهمها، حيث أن هذه العادات هي سبب تعاسة حياة شقيقاتها، فلا حرية للمرأة/ الزوجة ولا تقدير، بل عانت المرأة في حياتها الزوجية من عادات اجتماعية قاهرة تقوم على استبداد الرجل مقابل تهميش المرأة وإهانتها، وقد كان والدها بشخصيته المستبدة المثال الحي والواقع الموجع الذي شهدت على إهانته للمرأة وقهرها، تقول: "**لكن أبي فاجأنا حين نظر إلى زوجتيه وقال بحزم وهو يخلع حذائه: الحريم مثل الحذاء نخلعه حين يتسع أو يعتق**"[2] تتجلى صورة الزوج المستبد الذي لا يُقدِّر المرأة ويمنحها حقوقها التي تحفظ لها كرامتها، وهذه الصورة تتكرر في المجتمعات الذكورية التي لا تؤمن بإنسانية المرأة وقيمتها، تقول: "**كانت هي اللقطة الأولى التي أشعرتني بما تعانيه المرأة في مجتمع ذكوري لا يؤمن بإنسانيتها**"[3] إن حالة الإحباط والحزن التي شعرت بها الكاتبة مما رأته من واقع مأساوي للحياة الزوجية للمرأة الكويتية جعلها تقف وقفة موضوعية التمست فيها واقع المرأة في حياتها الزوجية، فلم تجد إلا صورًا

١ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٩٧

٢ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٧٥

٣ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٧٥

للتعذيب، والتحقير، والتهميش، فلم تظهر المرأة إلا مسخرة للرجل، ولأعمال المنزل، وتربية الأبناء، في ظل عدم تعاون الرجل معها في تخفيف مشقة الحياة ومسؤولياتها الصعبة "فوظيفة المرأة تختزل في إسعاد الرجال، والاهتمام بشؤون البيت وتربية الأطفال. إن كل مراحل حياتها محددة سلفًا وفق نظام اجتماعي محكم: زواج، ثم حمل، فولادة، وإرضاع، ورعاية البيت والأطفال وهذا هو المعيار الذي تقاس به حسن سيرة المرأة"[١]. تقول: "**لقد رأيت بأم عيني صورًا متعددة من الظلم الذي وقع على المرأة، سمعت تأوهاتهن، وشكواهن، وصرخاتهن المكبوتة، ودموعهن الساخنة، تلمست خوفهن، وارتجافهن، وخضوعهن للمهانة والقهر**"[٢] إن العادات الاجتماعية الموروثة في الحياة الزوجية القائمة على سلطة الرجل/الزوج على المرأة/ الزوجة سلطة لا تحكمها قيم إنسانية ولا دينية، فمبدأ الحياة الزوجية قائم على المعاشرة بالمعروف قولًا وعملًا، فالنصوص القرآنية جاءت بضوابط عادلة يخضع لها الرجل والمرأة على السواء في المعاملة، قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ سورة النساء: ١٩ وكما أن للمرأة حقوق على الزوج عليها واجبات، قال الله تعالى:﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ سورة البقرة: ٢٢٨

وقد صوّرت إشراقة حامد حياة المرأة ورسمتها في ثلاثة أبواب هي: باب ولادتها وخروجها للدنيا، باب الانتقال من بيت الأهل إلى بيت الزوج، باب المقبرة، تقول: "**المرأة تخرج من بطن أمها إلى الدنيا، ومن بيت أهلها إلى بيت زوجها، والباب الثالث يؤدي إلى المقبرة**"[٣] الصورة التي رسمتها الكاتبة استمدتها

---

١ ينظر، وهابي، **السرد النسوي العربي**، ص٨٣

٢ العثمان، **أنفض عني الغبار**، ص٦٣

٣ حامد، إشراقة، **فيينا نخلة الحنين والكتابة** (ط١)، الجيزة: دار صفصافة، ٢٠١٧م، ص١٠٤

عندما عبرت بالترام المقابر الرئيسة لمدينة فيينا، وهي بهذا تختصر دورة حياة المرأة ونشأتها بثنائية تشع بالانكسار والوجع، حياة أشبه بالموت ومفارقة الحياة. تقول في موضع آخر: "**علمونا فروض الطاعة منذ زمن بعيد، الرجل يطيع الدولة، والنساء يطعن الرجال والدولة معًا**"[1] تشير الكاتبة هنا إلى نوعين من النظم التي تسببت في اغترابها: النظم الاجتماعية المتمثلة في طاعة الرجل والخضوع له، والنظم السياسية التي اتخذت الديكتاتورية منهجا لها، والملاحظ أن الكاتبة تضع ذاتها داخل إطار الصورة المرسومة لتؤكد حالة الرفض المبطن لواقع حياتها الاجتماعية، والسياسية.

أما فاطمة المحسن التي سخرت نفسها للمرأة وقضاياها، والتحقت بالجماعات النسوية، فقد وصلت لمرحلة الاستسلام من عدم جدوى هذه القناعات، تقول: "**كي تجد المرأة السلام لروحها عليها أن تبتكر صيغًا للتفاهم مع عالم يضجُ بفقدان الحقوق، فهكذا البشرية منذ خلق قانونها الأقوياء، الامتيازات كلها للرجال**"[2] تؤمن الكاتبة بمبدأ أن الحياة الزوجية تقوم على التغاضي عن الفوارق والأخطاء في تقدير المواقف وردود الأفعال، إلا أنها وصلت لمرحلة العجز والاستسلام فلم تعد تعنيها الآراء والخصومات بينها وبين شريك حياتها لأنها على يقين بأن المرأة في مجتمعها مهما بلغت فإنها ستعاني حتما من الفروق التي وضعها المجتمع بين المرأة والرجل، تقول: "**كنت وما زلت من الإحباط حدّ التسليم بالفوارق بين الرجل والمرأة**"[3] هذه المرحلة وصلت لها بعد ما سخرت نفسها للكتابة النسوية عن المرأة و المطالبة بحقوقها والدفاع عن

١ حامد، **فيينا نخلة الحنين والكتابة**، ١٧٥

٢ المحسن، **الرحلة الناقصة**، ص٨٤

٣ المحسن، **الرحلة الناقصة**، ص٨٣

قضاياها، تقول: "**ضعف إيماني بقضية المرأة، ولكنه في الكبر زاد وهنًا ويأسًا**"[١] اشتداد حالة **الاغتراب الاجتماعي** الذي تعانيه الكاتبة أدى إلى خمود روح المقاومة وخمولها، مما يؤكد توهج مرحلة اليأس وموت الأمل بالتغيير.

٣-الحياة العلمية والمهنية

ولّدت حالات تهميش المرأة، وعدم الاهتمام برغباتها وطموحاتها في المجتمعات التي لا ترى لطموحاتها، أو رغباتها العلمية أو المهنية أهمية حالة من محاولات رفض الواقع الاجتماعي، والانعتاق من قيوده التي ظلت تحاصرها قاتلة طموحاتها وآمالها، وقد شعرت المرأة بالإحباط والحزن في لحظات كثيرة وصفتها في خطابها السير ذاتي بلغة تفيض بالانكسار؛ لعدم القدرة على تحقيق الأحلام ليس لضعف قدراتها أو إمكاناتها، إنما لوجود القيود الاجتماعية المحبطة التي تقوم تنشئة المرأة فيها بعدم السماح لها بتحقيق الأحلام والطموحات.

وقد أنتجت هذه القيود محاولات جادة من المرأة في رفض واقعها الاجتماعي المحبط وخلق الفرص التي تسمح لذاتها بالاستقرار ولمستقبلها بالتحليق في فضاءات الحياة التي تبعدها عن ذلك الواقع الاجتماعي الذكوري القامع، وظهرت ملامح **الاغتراب الاجتماعي** المتعلقة بعدم المساواة بين الذكر والأنثى في الحياة العلمية والمهنية للمرأة في خطابها السير ذاتي بصورتين:

أ- **الصورة الأولى:** تهميش المرأة وعدم الاهتمام برغباتها العلمية وطموحاتها المهنية، وحصرها على الرجل دون الأنثى.

ب- **الصورة الثانية:** محاولات المرأة في الانعتاق من قيود المجتمع الذكورية القامعة لطموحاتها وأحلامها، والتمرد على النظام الاجتماعي بكسر قوانينه وأعرافه.

---

١ المحسن، **الرحلة الناقصة**، ص٨٢

وقد تجلت عند الكاتبتين: نهى ماضي وهدى الغصن في خطابهما السير ذاتي المتعلق بالرحلة العلمية والمهنية. فنهى ماضي فرضت عليها ثقافة المجتمع و أيدولوجيته المنتشرة في المجتمع المصري حرمان المرأة من تحقيق الأحلام العلمية والطموحات المهنية التي تروم تحقيقها، تقول: "**لم أسعَ لتحقيق حلمي، فرضت طبيعة حياتي على تفكيري حدودًا لم أكن أعتقد أنني سأتمكن من كسرها وتخطيها في يوم ما، حيث نشأت في أسرة صغيرة في إحدى قرى مصر والتي تحصر دور الفتاة في الزواج والخلفة، وما هو غير ذلك لا قيمة له**"[1] تتجلى حالة الاستسلام اللا إرادي والشعور باليأس لعدم تحقيق أحلامها وطموحاتها التي خنقتها أعراف المجتمع المصري وتقاليده التي لا تمنح المرأة حق السعي للعلا والوصول للمجد، فلا مكان في المجتمع يتسع لطموحاتها ويحقق أحلامها إلا الزواج والخلفة، فالكاتبة منذ طفولتها وهي تحلم بأن تصبح (مضيفة طيران) ونفسها أبت الخضوع لهذه العادات فقررت تحقيق حلمها الذي راودها منذ طفولتها وقيود المجتمع ترفضه بل لا تعيره أهمية، تقول: "**نعم لقد قررت أن أخوض تجربتي بنفسي، وأحقق حلمًا راودني كثيرًا منذ الصغر**" [2] إن قرار الكاتبة بتحقيق أحلامها واختيارها بحرية ورغبة ذاتية حتما سيدخلها في حالة اصطدامات مع عالمٍ ذكوري شرس لا يفرح بنجاحات المرأة وإنجازاتها، لتقف بهذا ثائرة أمام عوائق المجتمع وحدوه، تقول: "**طرتُ من الفرحة، ليس فقط لاجتيازي الاختبار، ولكن لأني استطعت أن أنفذ ما أردته، في معظم مجتمعاتنا العربية نظل نحن الفتيات نعاني من كم الممنوعات والمحظورات والقوانين التي فرضها علينا المجتمع، فنحن نعاني من ضغط العائلة والشارع والفكر المجتمعي المريض،**

١ ماضي، نهى، **اعترافات مضيفة جوية**، (ط٣)، القاهرة: دار داون، ٢٠١٨م، ص٨

٢ ماضي، **اعترافات مضيفة جوية**، ص٨

ونحاول بجسارة أن نتخطى كل ذلك ونثبت أننا قادرات على تحقيق أحلامنا مهما عظمت العوائق" [١] حالة التمرد على العادات الاجتماعية وكسرها جاءت نتيجة لسطوة شعور **الاغتراب الاجتماعي**، فالتهميش القاهر للمرأة على حساب دعم الرجل ومساندته لتحقيق أحلامه وطموحاته حدا بها للمحاولات الجادة للوقوف أمام المجتمع وعاداته المجحفة لها.

ولا تبتعد هدى الغصن عن معاناة نهى ماضي فقد عانت من إهمال مجتمعها لطموحات المرأة وأحلامها العلمية أو المهنية، فنشأتها كانت في أسرة محافظة، ومجتمع يؤمن بأن المهن المرموقة، والمناصب العلمية هي للرجال، لذا لم تحظ طموحاتها وتطلعاتها المستقبلية المهنية، ومواهبها أهمية تستحق العناية والتركيز منهم، تقول : "**لم يسألني أحد ما أنوي أن أكون حين أكبر، فالأولاد وحدهم كانوا يحظون بالانتباه، حين يتعلق الأمر برعاية مواهبهم، ولم يكن تشجيعهم هذا محصورًا في البيت، بل كان يتكرر مثله في المدرسة، والإعلام السائد، والموقف العام المحيط بنا**"[٢] تتضح حالة التفرقة الاجتماعية المحبِطة للمرأة المنتشرة في المجتمع السعودي في تلك الفترة، فالتهميش والإقصاء لم يكن أسريا فحسب، بل واجهته المرأة في كافة مواقفها الحياتية المحيطة بها، لأنهم لا يرون نجاح المرأة إلا في تنشئتها على إدارة المنزل والقيام بشؤونه، تقول: " **أما البنت فكانت تربيتها مقتصرة على إعدادها لتكون ست بيت محترمة، أو أن تكون معلمة أو ممرضة أو سكرتيرة، لو تجرّأت ورفعت أبصارها فوق المستوى الحاشد بالزوجات والأمهات اللواتي يكتفين بالطبخ والتنظيف، والخياطة، في ما أسميه الفيلق الصامت**"[٣] تتجلى حالة رفض الكاتبة للعادات الاجتماعية

١ ماضي، **اعترافات مضيفة جوية**، ص١٢

٢ الغصن، **كيان مطلق**، ص٤٢

٣ الغصن، **كيان مطلق**، ص٤٢

المفروضة على المرأة التي ترغمها على التنازل عن علمها وطموحاتها، والاكتفاء بالعمل في المنزل وشؤونه، و هذا الرفض صورة من صور **الاغتراب الاجتماعي** الذي يطغى على خطاب الكاتبة السير ذاتي، وتؤكد الكاتبة في المقطع السابق أن المرأة في المجتمع السعودي قد غُلِبت على أمرها وهي في حالة استسلام لواقعها الاجتماعي، الذي تظهر فيه المرأة (الأم، والزوجة، والأخت، والابنة) خاضعة لهذه العادات مكتفية بأمور المنزل، وهن كثيرات اخترن الصمت والاستسلام الباهت لواقع اجتماعي ذكوري يهمش المرأة ويقمعها.

وكشف خطاب الكاتبة السير ذاتي عن حالات نفورها من المجتمع والتمرد على عاداته التي تزدري المرأة وتخضعها لسلطة الرجل و مركزيته، فقد سعت لتحقيق أحلامها وطموحاتها، ولاذت بنفسها عن عالم ذكوري لم تشعر فيه إلا بـ**الاغتراب الاجتماعي** و**النفسي**، وحققت لذاتها المكانة الاجتماعية، والمرتبة الوظيفية التي أرادتها، إلا أن سلطة الرجل وذكوريته المقيتة في المؤسسة المهنية والوظيفية وقفت عائقًا ملازمًا لها في عملها، تقول: "**ها أنا ذي، عالقة في مصيدة الرمال المتحركة القديمة إياها من التفكير التقليدي: على النساء أن يبقين مذعنات قانتات بأوضاعهن. إذ لا وجود لنا في عالم الرجال. نحن لا شيء**"[1] تعكس الكاتبة في المقطع السابق معاناتها الاجتماعية والنفسية من تفكير الرجل المتشبع بعادات اجتماعية، وأعراف ثقافية موروثة مبنية على إذلال المرأة و إخناعها لسلطته المستبدة، وتتجلى حدة الإحباط النفسي الذي تشعر به الكاتبة حينما شعرت بأن الحياة الاجتماعية المحيطة بها (مصيدة) حاصرتها معرقلة حريتها وتحررها، كما تجلت حالة التشيؤ الذي "يفقد فيه الإنسان ومن خلاله ذاته و وجوده الشرعي الأصيل، ويدرك أن العالم مجموعة خالية من

١ الغصن، **كيان مطلق**، ص١٤

البعد الإنساني، مُقتلع لا جذور تربطه بنفسه أو واقعه"[١] فشعور المرأة بأنها لا شيء، لا وجود لها ولا مكانة جاءت عاكسة لسيطرة حالة الشعور بـ**الاغتراب الاجتماعي** الذي انتهى بالشعور بالعدم و اللا شيء.

وتكمل الكاتبة سرد حالة الفجوة بينها وبين مجتمعها الوظيفي التي اتسعت حالما تقلدت مناصب قيادية كانت محصورة للرجال، تقول: "**حالما تقلّدت المناصب القيادية، واجهت كثيرًا من إجحاف بعض الزملاء ومقاومتهم، لأني احتللت مراكز التخطيط المنشآت، وأنني امرأة سعودية لا تبدي أي نزعة تقليدية، كنت عرضة لكل أنواع التهديد والإساءة بين مجموعة الرجال السعوديين المتزمتين في القسم الهندسي**"[٢] إن إجحاف حق الكاتبة، ومقاومة الزملاء لها جاء نتيجة للنزعة الذكورية المتشبعة بالأعراف الاجتماعية التي تستهين بقدرات المرأة، وتستحقر إنجازاتها وخاصة حينما تتفوق على الرجل في مرتبة وظيفية، أو أن تتولى قيادة العمل وتمسك بزمام الأمور، وتتجلى معاناة الكاتبة النفسية والاجتماعية حينما فقد هؤلاء الرجال القيم الإنسانية الأخلاقية بتهديدها والإساءة لها؛ لأن نجاحها العلمي والمهني جعلها تدخل في حالة اصطدام حاد بين أنانية الرجل، وعادات المجتمع المهينة للمرأة ونجاحاتها.

وقد حاولت الكاتبة رفض الامتثال لسلطة الرجل الوظيفية، ومقاومة محاولات الإقصاء الجائر، وتسليط الضوء على إنجازات المرأة وتفوقها مهنيًا على الرجل إلا أن هذه المحاولات واجهتها مجابهات ذكورية، تقول: "**كانت أي محاولة أبذلها لتسليط الضوء على التمييز الفادح في أنظمة الموارد البشرية، بين الرجل والمرأة ستؤدي إلى عزلتي في وظيفة بعيدة عن أنظمة**

---

١ بويط، مديحة، **الاغتراب في الرواية الجزائرية: رواية الغراب الأخير لمبروك دريدي أنموذجًا**، (رسالة ماجستير) جامعة محمد الصديق، ٢٠٢١م، ص٢٧

٢ الغصن، **كيان مطلق**، ص١٧١

الشركة وقوانينها الحساسة"[1] تظهر حالة الدخول في دوامة الصراعات النفسية الذاتية للكاتبة بين رفض الضعف و إثبات تفوق المرأة وقدراتها المهنية والوظيفية على الرجل، أو الصمت الممزق والاستسلام القاهر عن هذه المقارنة التي تتفوق فيها المرأة؛ فإثبات تميزها على حساب إخفاق الرجل حتما سينتهي بخسارة وظيفيتها ومنصبها القيادي، وتتأزم معاناتها من جديد حينما أصبحت تحت المراقبة، تقول: "**أما الأمر الوحيد الذي كان يزعجني في منصبي فهو اللعبة السياسية التي أصبحت الآن مضطرة للعبها، فكل استدارة مني، أو حركة، أو قرار كانت تحت المراقبة الدقيقة، والتحليل النيّق على كل مستويات الشركة، وفي أحيان كثيرة كان يُعتَّم عليها بالمواقف الميسوجينية المتأصلة المعادية للمرأة**"[2] يتجلى في المقطع السابق تجرد مجتمعها الوظيفي الذكوري من القيم المثلى، والأخلاق الإنسانية، فالمراقبة الشديدة، طريقة لعرقلة نجاح الكاتبة ومحاولة لإقصائها من منصبها القيادي، وكل هذه المحاولات والطرق ضاعفت شعور الكاتبة **بالاغتراب الاجتماعي** الذي تمثّل في تصدع علاقتها مع عادات اجتماعية موروثة تهمش المرأة وتشعرها بالدونية، لتقف أمامها متمردة ساعية للتحرر منها والانعتاق.

وتتكرر صور عدم المساواة بين الذكر والأنثى المثخنة بالانكسار والإحباط في السيرة الذاتية للمرأة العربية فنجد المعاناة تظهر أيضًا عند نوال السعداوي، تقول: "**كان فرحي الوحيد حين أنجح في الدراسة، في العلم أو الطب أو الأدب، هذه المجالات كانوا يسمونها رجولية، وما هي المجالات الأنثوية عندهم؟ دعك المراحيض أو مسح البلاط وتقشير البصل والثوم. أصبح السؤال يدور في**

١ الغصن، **كيان مطلق**، ص١٨٧

٢ الغصن، **كيان مطلق**، ص٢٦٠

رأسي منذ الطفولة: كيف تتغير قلوبهم فيدخلها الفرح بنجاحي في الطب أو الأدب أكثر من نجاحي في دعك المراحيض"[١] تتجلى حالة الشعور بالحزن والإحباط عند الكاتبة من فرح أسرتها بنجاحها في مجال الطب أو الأدب، التي اقتصرت في مجتمعها على الذكور، بينما الأنثى فلا يحق لها إلا النجاح في مهام المنزل من دعك مراحيض، ومسح البلاط، وتقشير البصل والثوم لتتجلى حالة الشعور **بالاغتراب الاجتماعي** الذي انتهى بها بسؤال الذات المتعطشة لاستشعار أسرتها لنجاحاتها العلمية مؤكدة بهذا عدم اهتمامهم بهذه النجاحات، ولعل عدم اهتمامهم بهذه النجاحات لم يدم، فقد كان لفشل أخيها الذي علّقت عليه أسرتها الطموحات والآمال السبب في الالتفات إليها وإلى نجاحاتها، تقول: "**إنه الانقلاب في حياة أبي وأمي، أخي طلعت كان حلمهما الأكبر، إلا أن رسوبه في المدرسة العام وراء العام أصابهما بالإحباط إلى أمل جديد في ابنتهما الكبرى، كنت أنا بالمصادفة هذه الابنة، وكان لابد لي من أخ فاشل حتى أحظى بالاهتمام**"[٢] بالرغم من الاهتمام الذي لاقته من والديها إلا أنها لازالت تعاني من صراعات نفسية مليئة بالإحباط واليأس وهذا يتضح بقولها: (كنت أنا بالمصادفة) ولا شك في أن للتهميش الذي عانت منه لفترات طويلة الدور الفاعل في هذا التأزم النفسي.

أما اليوم فتعيش المرأة العربية مرحلة تاريخية جديدة لا تحتاج فيها المناضلة من أجل حقوقها في الزواج والتعليم، والكتابة، والمهنة...إلخ بل أصبحت صاحبة صوت مسموع، وموقف مؤثر بجدارة، واستحقاق. **ثالثًا: عدم القدرة على التكيف مع العادات وضعف الاندماج الاجتماعي**

١ السعداوي، **أوراقي حياتي**، ج٢، ص٦٧

٢ السعداوي، **أوراقي حياتي**، ج١، ص١٥٣

إن عدم توافق المرأة مع الأنظمة الاجتماعية السائدة، وضعف الاندماج مع الآخرين والتفاعل، واحدة من مظاهر **الاغتراب الاجتماعي** التي تجلت في **السيرة الذاتية للمرأة العربية**، وهي ترتبط ارتباطًا تامًا بوجودها الإنساني وماهيته التي يلعب المجتمع فيها الدور الرئيس والفاعل في تحقيق هذا الوجود أو عدمه، وضعف الاندماج الاجتماعي للمرأة حدا بها للانفصال عن المجتمع والخروج من دائرته، فالاندماج الاجتماعي "يساعد الفرد على التكيف مع المجتمع وبدونه يسود الانفصال الاجتماعي، ويصبح المجتمع عبارة عن جماعات مغلقة ومنفصلة عن بعضها البعض، كما أن الاندماج الاجتماعي قائم على التفاعل الاجتماعي الذي هدفه إكساب الفرد السلوك، والمعايير والاتجاهات المناسبة لتمكينه من أداء أدوار اجتماعية معينة، وتؤهله للتوافق مع محيطه"[١]

وتعد حالة رفض العادات الاجتماعية الموروثة ظاهرة لافتة في السيرة الذاتية للمرأة العربية وهي ردة فعل تؤكد اللا توافق مع تلك العادات، وقد تجلّت في سيرة ليلى الجهني الذاتية، تقول: "**ما عاد يعنيني أن يفهم أحدٌ اختلافي أو حتى يتقبله، ليس يأسًا بل لأني أدركت أن الفهم الذي أنشده عصيٌ على الأقل الآن، وفي هذه اللحظة. وما دام عصيًا فليس من الجيد أن استنزف طاقاتي في استجلابه، لأن معظم الناس لا تفهم إلا ما تعرف، ويربكها الاختلاف**"[٢] تتجلى حالة الشعور **بالاغتراب الاجتماعي** و**النفسي** في المقطع السابق، حيث تظهر ذات الكاتبة عاجزة عن الامتثال للمجتمع وعاداته الموروثة من جهة، وعن إقناعهم باختلافها وتقبله من جهة أخرى، وتتضح فكرة محاولة الكاتبة في إحداث التغيير في قناعات أفراد مجتمعها والبيئة المحيطة بها التي

١ ينظر، عبد القادر، فوشان، **الاندماج الاجتماعي: المفهوم، الأبعاد والمؤشرات**، *مجلة الراصد العلمي*، ع٤، ٢٠١٧، ص٣٣

٢ الجهني، ليلى، ٤٠ **في معنى أن أكبر**، (ط١)، الرياض: أثر، ٢٠١٥م، ص١١

ترفضها ولا تمتثل لها، والسعي للارتقاء بمستوى الوعي الذاتي والجماعي، إلا أن هذه العادات الاجتماعية وقناعات متبعيها ظلت الأقوى في البقاء و الأثبت، لتصل ذاتها لمرحلة الانفصال الاجتماعي والانكفاء على النفس. تقول: "**وقد عجزتُ عن أن أتبلد في مواجهة تهتك الحياة، عجزتُ عن أرغب عن فهمها وفهم اضطرابي إزاءها، عجزتُ عن أن لا أشعر في مراتٍ كثيرة بأنني في المكان والزمان الخاطئين، ليس لأنني أفضل أو أحسن، بل لأن طباعي وأفكاري وطريقتي في أن أحيا حياتي لا تناسب هذا المكان، ولا هذه اللحظة العصية من الزمان**"[١] تتكاثف في المقطع السابق دلالات لأنواع مختلفة **للاغتراب، فالاغتراب الاجتماعي** الذي تعيشه الكاتبة نتيجة العادات الاجتماعية البائسة المحيطة بها أفضت إلى أنواع أخرى من **الاغتراب** وهي: **الاغتراب النفسي،** و **الزماني،** و **المكاني،** إلا أن **الاغتراب الاجتماعي** هو العامل المركز والرئيس الذي بشدة أثره تضاعفت حالات **الاغتراب** الأخرى، فحالات الاضطراب النفسي والوجداني والزمكاني الذي تعيشه الكاتبة إزاء الحياة ومعطياتها عمّقه **الاغتراب الاجتماعي** الذي لاقته بالصمت، والاستسلام، والعجز، الذي ظهر في مواضع كثيرة منها: العجز عن إقناع المجتمع بأسباب عزوفها عن الإنجاب وقد بلغت الأربعين من عمرها، و محاولة تغيير ثقافته البائسة عنه، تقول: "**كنت قد انشغلت فترة بأن أبرر لهن ولغيرهن سبب عزوفي عن الإنجاب، ثم أدركت أني كمن يسبح في ماءٍ باردٍ: أبذل مجهودًا جبارًا كي أبلغ ضفةً غير أكيدة، وأن هؤلاء النسوة ومن يفكر بطريقتهن لا يعين أنفسهن كما أعي نفسي، ولا يرين العالم من زاويتي فقررت أن أبتسم فحسب**"[٢] إن قضية إنجاب المرأة في سنٍ مبكر من القضايا

١ الجهني، **٤٠ في معنى أن أكبر**، ص٤٢-٤٣

٢ الجهني، **٤٠ في معنى أن أكبر**، ص٩

الاجتماعية التي لا تتسق مع قناعات الكاتبة ومعتقداتها، فقد جرت العادات الاجتماعية والثقافية على أن المرأة يجب أن تنجب في سنٍ مبكر، والكاتبة بلغت الأربعين من عمرها وهي عازفة عن الإنجاب، وهذا يجعلها في حالة مواجهة حادة مع المجتمع وعاداته، فالكاتبة تؤكد وصولها لحالة الاستسلام عن محاولة التبرير بأسباب عدم إنجابها التي مهما اختلفت فإن ما يقف خلفها وعي الكاتبة بثقافة الإنجاب وأهميتها التي لا يعيرها المجتمع والبيئة المحيطة اعتبار، وثقافة الإنجاب تعد من أساسيات السلامة المجتمعية والنفسية التي ألغتها نظرة المجتمع القاصرة لها.

كما كان لمظاهر الحياة التي يعيشها العالم أجمع من تغيرات على كافة الأصعدة الأثر البالغ في تعميق شعور **الاغتراب الاجتماعي** عند الكاتبة، لا سيما التغيرات التقنية والاقتصادية التي تراها تغيرات زادت الحياة الاجتماعية والثقافية سوءًا، تقول: "**العالم الآن يتهتك أكثر من ذي قبل! يصبح عالما خليعًا، وينحدر نحو رخصٍ بيِّن. عالم يمكن للمرء فيه أن يجد نفسه حائرًا في نهاية المطاف ومتشظيًا، لأن كل ما يطرح يبدو صحيحًا، لم تعد المعلومة شحيحة، بل فائضة إلى حد البلبلة**"[1] تتجلى حالة التشظي النفسي، وانعدام التوافق الاجتماعي والذاتي والفكري للكاتبة مع المجتمع والبيئة المحيطة بها بما فيها من ثورة تقنية ومعلوماتية أحدثت تراجعًا للمجتمع وأفراده، الذين غرقوا في هذه الثورة، ومع هذا التراجع احتدّ شعور الكاتبة بـ**الاغتراب** وتضاعف؛ لرفضها فكرة التكيف مع هذه الثورة والانسجام مع تحولاتها التي لحقت الحياة الاجتماعية العامة والخاصة حتى وصلت لانعدام الخصوصية للحياة الشخصية، تقول: "**إنني أكبر، وأزداد مرضًا**

١ الجهني، **٤٠ في معنى أن أكبر**، ص٢٠

بخصوصيتي. لم أعد أطيق أن أُقتحم بفجاجة، ولأسبابٍ أشدّ فجاجة"[١] في ضوء تلك التداعيات الاجتماعية والتقنية المستحدثة أصبح العالم رهينًا للثورة المعلوماتية بما فيها وسائل التواصل الاجتماعي التي اخترقت خصوصية الحياة الشخصية، فالكاتبة متأزمة من حالات انتهاك الخصوصية المنتشرة في المجتمع بفعل وسائل التواصل الاجتماعي، تضاعفت هذه الأزمة حينما تلقت الكاتبة على بريدها الإلكتروني صورًا لقصر الأميرة ريم بنت الوليد بكل تفاصيل القصر بما فيها غرفة النوم، فتفاقم شعورها بالإحباط والأسى على ما أصاب المجتمع من عادات عرقلت التطور الفكري وضيقت حدوده، ليتضح لنا أن أزمة الكاتبة لم تكن اجتماعية فحسب، بل فكرية.

تجلى تولد شعور **الاغتراب الاجتماعي في السيرة الذاتية للمرأة العربية** في غربتها، وتضاعف حينما شعرت بالتنافر بين العادات الاجتماعية وأنماط الحياة المختلفة التي قادتها إلى اختيار العزلة والبعد؛ لعدم قدرتها على الانخراط في المجتمع والتكيف مع عاداته وأعرافه. فالهنوف الدغيشم أصبحت **الغربة** عن الوطن والبعد عن الأهل عاملًا فاعلًا في مضاعفة شعورها بـ**الاغتراب الاجتماعي** حينما شعرت بعدم قدرتها على الانسجام مع المجتمع والانخراط في علاقاته، تقول: "**اعتقدت أنني سأكون في هذه المدينة قريبة من الآخرين أكثر مما اعتدت، أو أكثر من قدرتي على الاحتمال، ولكني لم أحتج وقتًا طويلًا لأدرك كم أنا بعيدة عن الآخرين، وكم تبدو المسافات بيننا شاسعة ومترامية**"[٢] إن **الاغتراب الاجتماعي** الذي تعيشه الكاتبة بسبب فقدان الوطن والأهل تفاقم بفقدان القدرة على التوافق الاجتماعي والاندماج في العلاقات الاجتماعية، التي فشلت

١ الجهني، **٤٠ في معنى أن أكبر**، ص٢٦

٢ الدغيشم، الهنوف صالح، **فرايبورغ رقة العزلة**، (ط٢)، بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠١٦م، ص١٣

في إقامتها الكاتبة، تقول: "**أصبحت تفصلني مسافة كبيرة عن الجميع، وأعتقد أنني ماهرة في صنع تلك المسافات وفي تواصلي الاجتماعي على كل المستويات**"[1] إن فقدان التوافق الفكري، والانفصال الاجتماعي الذي شعرت به الكاتبة بينها وبين الآخرين، استغلته في نقد الواقع الاجتماعي للسعوديين حتى في غربتهم عن الوطن، حيث تظهر العادات الاجتماعية البائسة مسيطرة على واقع العلاقات القائمة بينهم، تقول: "**أنني مستمتعة في هذه الغربة، لا لشيء..إلا لأنه لا يوجد شيءٌ اجتماعيٌ هنا، ثم ما الفائدة من الدراسة في الخارج إذا كنا في الدائرة الاجتماعية نفسها؟ العادات نفسها لا تتغير؟ الرجال وحدهم يدخنون الشيشة ويلعبون البالوت! والنساء وحدهن يتسابقن في الكذب ويتناقرن كالديكة**"[2] استطاعت الكاتبة في المقطع السابق تصوير واقع العلاقات الاجتماعية بأسلوب ساخر لفتتنا به إلى انفعالاتها المضطربة نحو عالم لا تشعر فيه بالاستقرار ولا الاندماج.

إن استمتاع الكاتبة بالغربة جاء وسيلة من الوسائل التي لجأت إليها المرأة في الانعتاق من المجتمع وعاداته الاجتماعية الموروثة التي لا تتفق معها ولا تنسجم، ولم يجدر بها إلا الهروب إلى عالم آخر تعيش فيه بعيدة عن نظام اجتماعي رجعي تتصدع فيه ذاتها وتشعر بالأسى، تقول: "**لا أستطيع أن أتحمّل أكثر، أقول لنفسي يجب أن أخرج من هنا، أتمنى لو أنني أستطيع ببساطة أن أفتح الباب وأركض**"[3] وفي موضع آخر تقول: "**أحاول أن أشارك في الموضوع، لكنني لا أستطيع، أتأمل الساعة المعلقة على الجدار، تتحرك ببطء، يبدو لي**

١ الدغيشم، **فرايبورغ رقة العزلة**، ص٣٠

٢ الدغيشم، **فرايبورغ رقة العزلة**، ص٣١

٣ الدغيشم، **فرايبورغ رقة العزلة**، ص٣٢

أنها تمشي عكس اتجاه العقارب، وأنكمش"[١] تتجلى حالة انعدام التوافق الاجتماعي، والفكري، والنفسي للكاتبة مع النساء السعوديات المغتربات، إذ ظلت العادات الاجتماعية والقيم الثقافية الموروثة محاصرة للمرأة ومسيطرة عليها حتى في غربتها عن الوطن، لتعيش الكاتبة لحظات من التوتر والقلق الناشئ من عدم التكيف والاندماج.

وفي ضوء معاناة عدم التكيف والتوافق الاجتماعي سعت الكاتبة للبحث عن المجتمع الذي تستقر فيه ذاتها وتتزن انفعالاتها بعيدًا عن وطأة عادات المجتمع ومظاهره التي تزيد من أعباء الحياة وتضيق فسحة العيش بحرية وراحة، وقد طال شعور اللا توافق الاجتماعي إحساس الكاتبة حتى في أثناء عودتها للوطن هاربة من مشقة الحياة الألمانية، تقول: "**أنا لم أعد هنا، الرياض، أحتاجها وآتيها لاهثة من مشقة الحياة الألمانية، وما إن أصل إليها حتى تثقلني ببروتوكولاتها الاجتماعية. عليّ دائمًا أن أفكر بالآخرين، ماذا يناسب أن ألبس، أو أقول...بدأت مقدرتي على التحمّل تضيق ويضيق سمعي بحكايات الجنة والنار والوصايا التي نمارسها على بعضنا، وبدأت عزلتي في المقابل تزداد**"[٢] إن طغيان العادات الاجتماعية والأعراف المقيدة للحرية انتهت باختيار الكاتبة للعزلة وهذه نتيجة لحتمية **الاغتراب الاجتماعي** و**النفسي** الذي تصارعه ذاتها فالعزلة الاجتماعية التي اختارتها ناتجة من عدم الشعور بالانتماء إلى المجتمع والتوافق معه، تقول: "**فكنت كلما ذهبت في إجازة للرياض، أجد صعوبة في الاستماع للآخرين، وأشعر بالأسى**"[٣] إن الشعور بالأسى نابع من خيبة أملها بتحقق حلم العثور على عالم مملوء بالراحة والتوافق والانسجام،

١ الدغيشم، **فرايبورغ رقة العزلة**، ص٣٤

٢ الدغيشم، **فرايبورغ رقة العزلة**، ص٧٠

٣ الدغيشم، **فرايبورغ رقة العزلة**، ص١٢٠

إلا أن الواقع الاجتماعي الذي لا يتسق مع قناعاتها دفعها إلى البعد والهروب من عالم لا تندمج معه، إلى عالم الغربة الذي تصارع فيه اختلافات اجتماعية، وفكرية، ودينية، إلا أنها وجدت فيه التصالح مع الذات، تقول: "**ورغم أن كل شيء يجعلني عصية على الاندماج، إلا أنني أجدني متصالحة تمامًا مع ذاتي**"[1] تصالح الكاتبة مع ذاتها برغم عدم اندماجها مع المجتمع الألماني تحقق لأنها وجدت الحرية وتحررت من أعراف المجتمع السعودي المثقلة بالتقاليد الموروثة، تقول: "**أعرف الآن أنني حرة، غير خاضعة لمفاهيم مجتمع ما، فكل شيء في حياتي يسير حسب تطلعاتي، وتجاربي**"[2]

أما هدى الغصن فقد عانت من عدم التكيف والانسجام بعد انتقال أسرتها من الكويت إلى السعودية، حيث بدأت معاناة اللا توافق من المدرسة التي وجدت فيها الاختلاف، تقول: "**بعد يوم من المعاناة النفسية في المدرسة، كنت أعود إلى البيت في حال صدمة وأسترسل بالشكوى والتذمر والاحتجاج لأمي المسكينة...لم أستطع التكيف ولا الانسجام، وكنت في حيرة من أمري، لما كان يبدو لي أن البنات من حولي لم يشعرن بقلق أو سخط أو إحباط من الوضع القائم**"[3] بعد الانتقال وجدت الكاتبة نفسها أمام مجتمع تحكمه عادات وأعراف مختلفة تقيد المرأة واهتماماتها حتى في التعليم والمناهج الدراسية، حيث منع تدريس الموسيقى ودروس التربية البدنية في مدارس تعليم البنات، لتشعر بالإحباط فبدأت بمرحلة الاحتجاج التي تتجلى كمظهر من مظاهر **الاغتراب الاجتماعي** الذي أفضى بها إلى عدم التكيف والانسجام حتى مع أقرب الناس إليها، تقول: "**وحتى لا أصاب بمزيد من الضيق، وأصبح موضع سخرية**

---

١ الدغيشم، **فرايبورغ رقة العزلة**، ص٩٩

٢ الدغيشم، **فرايبورغ رقة العزلة**، ص١١٩

٣ الغصن، **كيان مطلق**، ص٦٠

الجميع، انكفأت بعيدة عنهن، وقررت أن أدفن أفكاري وسخطي ولا أناقش فيها أحدًا"[١] هيمنت حالة **الاغتراب الاجتماعي** على الكاتبة حيث وصلت إلى مرحلة الانكفاء على الذات، والبعد عن الصديقات والشقيقات؛ لعدم مبالاتهن بالقيود الاجتماعية القاهرة، و التنازل عن اهتماماتهن بالحياة والامتثال للعادات الاجتماعية، إلا أن الكاتبة رفضت الانصياع لهذه العادات والقبول بها وقررت اختيار الصمت مخرجًا لها من واقع اجتماعي لم تتمكن من الاندماج معه فكريا واجتماعيا. وهذا الاختلاف دفعها إلى اختيار الانسحاب بدلًا من الاندماج ومحاولة الانخراط في المجتمع وعلاقاته التي أفقدتها التوازن النفسي والرضا الذاتي، تقول: "**هذا الجهد لم يعمّر طويلًا. فما إن أدركن عدم انسجامي مع جوهن، صرت محلًا لسخريتهن... فاستسلمت لحقيقة طبيعتي. فأنا انطوائية، ونوعًا من ناسك تزدهر روحه في العزلة، وتنتعش مع صوت الصمت**"[٢] لقد كان للاختلافات الفكرية والاهتمامات الحياتية بين الكاتبة وشقيقاتها وصديقاتها الدور في شعور الكاتبة بـ**الاغتراب الاجتماعي** الذي لم يخلف وراءه سوى الانطواء والعزلة عن عالم لا تشعر فيه ذاتها بالتوافق والانسجام، لتقف وحيدة عاجزة عن التغيير والتأثير ولم يجدر بها إلا الانفصال عن مجتمعها وأسرتها.

١ الغصن، **كيان مطلق**، ص٦٢

٢ الغصن، **كيان مطلق**، ص٩٦

الخاتمة

نهاية هذا البحث الذي خصصناه لدراسة **الاغتراب الاجتماعي في السيرة الذاتية للمرأة العربية** يمكن أن نجمل أبرز النتائج التي توصلنا إليها وهي:

- إن **الاغتراب الاجتماعي** في السيرة الذاتية للمرأة العربية جاء متشابكًا مع عدد من أنواع **الاغتراب** الأخرى ولعل أهمها **الاغتراب النفسي**، فالمجتمع بأعرافه ومبادئه لعب دورا رئيسًا في تحولات المرأة وانفعالاتها.
- عكس **الاغتراب الاجتماعي في السيرة الذاتية للمرأة العربية** إلى جانب الانفعالات النفسية للمرأة، التأملات الفكرية التي من خلالها جسّدت في خطابها السير ذاتي وعيها تجاه وضع المرأة في المجتمع، والحالات المأساوية التي تمر بها.
- أبرز ما ظهر في **الاغتراب الاجتماعي في السيرة الذاتية للمرأة العربية**، كثافة الصورة المأساوية للمرأة وأوضاعها الاجتماعية، أما أهم مظاهر **الاغتراب الاجتماعي** تجلت في: العجز، الاستسلام، التمرد، الانفصال الاجتماعي، العزلة، عدم التوافق.

أبرز العوامل التي تسببت في مضاعفة شعور **الاغتراب الاجتماعي** عند المرأة تتمثل في الآتي:

١- عدم الشعور بالحرية ومصادرة الملكية الفكرية التي منحت المرأة فرصة التنفيس عن انفعالاتها، ورؤيتها الخاصة إزاء الحياة وخاصة الاجتماعية والسياسية.

٢- كان لأساليب التنشئة الاجتماعية والتربوية للمرأة الدور الكبير في تعميق شعور المرأة بالاغتراب الاجتماعي، فهذه الأساليب قائمة على عدم المساواة والفروق التفاضلية بين الذكر والأنثى التي تظهر مهمشة ومحتقرة في: **(الولادة والتربية، والزواج والحياة الزوجية، والحياة العلمية والفرص المهنية)**.

٣- إن عدم توافق المرأة مع الأنظمة الاجتماعية والثقافية السائدة، وضعف الاندماج مع الآخرين والتفاعل، واحدة من مظاهر **الاغتراب الاجتماعي** التي تجلت في **السيرة الذاتية للمرأة العربية**، وهي ترتبط ارتباطًا تامًا بوجودها الإنساني وماهيته التي يلعب المجتمع فيها الدور الرئيس والفاعل في تحقيق هذا الوجود أو عدمه.

المصادر والمراجع

المصادر

- **القرآن الكريم**
- الجهني، ليلى، ٤٠ **في معنى أن أكبر**، (ط١)، الرياض: أثر، ٢٠١٥م
- حامد، إشراقة، **فيينا نخلة الحنين والكتابة** (ط١)، الجيزة: دار صفصافة، ٢٠١٧م
- الدغيشم، الهنوف صالح، **فرايبورغ رقة العزلة**، (ط٢)، بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠١٦م
- السعداوي، **أوراقي حياتي**، ج١، (د.ط)، د.م: مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٧م
- السعداوي، **أوراقي حياتي**، ج٢، (د.ط)، د.م: مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٧م
- شرارة، بلقيس، **هكذا مرت الأيام**، (د.ط) د.م: دار المدى،٢٠١٥
- طوقان، فدوى، **رحلة جبلية رحلة صعبة** (ط٢)، عمّان: دار الشروق، د.ت
- العثمان، ليلى، **المحاكمة** (د.ط) بيروت: دار الآداب، **٢٠٠٩م**
- العثمان، ليلى، **أنفض عني الغبار**، (ط١)، القاهرة: دار العين، **٢٠١٧م**
- الغصن، هدى، **كيان مطلق** (ط١)، د.م: الدار العربية للعلوم، ٢٠٢٢م
- ماضي، نهى، **اعترافات مضيفة جوية**، (ط٣)، القاهرة: دار داون، ٢٠١٨م
- المحسن، فاطمة، **الرحلة الناقصة**، (د.ط) د.م، د.د، د.ت

المراجع

- بويط، مديحة، **الاغتراب في الرواية الجزائرية: رواية الغراب الأخير لمبروك دريدي أنموذجًا**، (رسالة ماجستير) جامعة محمد الصديق، ٢٠٢١م
- حسن، سمير إبراهيم، **تمهيد في علم الاجتماع**، ط١، عمّان: دار المسيرة، ٢٠١١م
- الحكمي، عائشة يحيى، **السيرة الذاتية عند أدباء المملكة العربية السعودية في مرحلة الطفرة (١٣٩٠-١٤١٨هـ)**، (ط١)، عمّان: دار كنوز، ٢٠١٥م
- خليفة، عبد اللطيف محمد، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب** (د.ط)، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٢
- سامي، إشراق، **الآخر في رواية المحاكمة ليلى العثمان**، *مجلة العلوم الاجتماعية*، ع١٢، ج٢، ٢٠٢٠م
- شاخت، ريتشارد، **الاغتراب**، تر: كامل يوسف حسين، (ط١) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م
- بو طارن، محمد الهادي، **الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي** (د.ط) القاهرة: دار الكتاب الحديث، ٢٠١٠
- عبد القادر، فوشان، **الاندماج الاجتماعي: المفهوم، الأبعاد والمؤشرات**، *مجلة الراصد العلمي*، ع٤، ٢٠١٧
- الغذامي، عبد الله، **المرأة واللغة**، (ط٤)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨م
- الفارسي، سعيدة خاطر، **الاغتراب في الشعر النسوي الخليجي**، (ط١)، مسقط: الجمعية العمانية للكتّاب والأدباء، ٢٠١٨م
- القاعود، حلمي محمد، **النقد الأدبي الحديث بداياته وتطوراته**، (ط١)، الرياض: دار النشر الدولي، ١٤٢٦هـ

- مشقوق، هنية، **الاغتراب في الرواية النسوية الجزائرية**، (رسالة دكتوراه)، جامعة محمد خيضر، ٢٠١٦ /٢٠١٧م.
- المناصرة، حسين، **مقاربات في السرد**، (ط١) إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢،
- هني، عبد القادر، **الأدب بين الحرية المطلقة والالتزام بالقيم التربوية الإسلامية**، *مجلة الصراط*، كلية أصول الدين، ع٢، ٢٠٠٠
- وهابي، عبد الرحيم، **السرد النسوي العربي من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية**، ط١، عمّان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٦

المراجع الإلكترونية:

خلف، بشير، **تحدٍّ للمعوقات وتطلع إلى الحرية**، *ديوان العرب*، ٢٠١٢م، على الرابط: https://www.diwanalarab.com